٤٠٥٠

٢١٤
ت ٠ ع

التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد ، تأليف عبدالرحمن بن الحسن - ١٢٨٥هـ ٠ كتبت في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا ٠

١١١ ق مسطرته مختلفه ٢٥ x ١٧ سم

نسخة حسنة ، بأولها وأثنائها وآخرها نقص ، بعض الأوراق مرممه ، خطها نسخ واضح ، طبع مرات (نسخة في المكتبة) ٠ ٤٠٥٥٠

في النسخ المطبوعة "فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد"

الأعلام ٧٥:٤ مشاهير علماء نجد : ٥٨ - ٦٩

أ- أصول الدين أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

١
جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات
٤-٥-
ف ٤١٨٧٠-

فابطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو اليها كل شيطان
واقام الله به علم الجهاد وادحض الله به شبه المعارضين
من اهل الشرك والعناد ودان بالاسلام اكثر اهل
تلك البلاد الحاضر منهم والباد وانتشرت دعوته و
مؤلفاته في الآفاق حتى اقر له بالفضل من كان من
اهل الشقاق الا من استحوذ عليه الشيطان وكره
اليه الايمان فاصر على العناد والطغيان وقد اصبح
اكثر اهل جزيرة العرب بدعوته كما قال قتادة رحمه الله عن
حال اول هذه الامة ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله
انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فابى الله الا ان يمضيها
وينصرها ويظهرها على من ناواها انها كلمة من خاصم
بها فلج ومن قاتل بها نصر انما يعرفها اهل هذه الجزيرة
من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل وكثير
في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون لها وقد
شرح الله صدور كثير من العلماء لدعوته وسروا و
استبشروا بطلعته واثنوا عليه نثرا ونظما فمن ذلك ما قاله
عالم صنعاء محمد بن اسمعيل الامير في هذا الشيخ رحمه الله تعالى

وقد جاءت الاخبار عنه بانه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر اركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ودي

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها   كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة   أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل   ومستلم الأركان منهن بالأيدي

وقال شيخنا عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى فيه

لقد رفع المولى به رتبة الهدى   بوقت به يعلو الضلال ويرفع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى   وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيى به التوحيد بعد اندراسه   وأقوى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها   سواه ولا حاذاه فيها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد   يشيد ويحيي ما تعفى ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التي   أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها   وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا   وقد كان مسلوكا به الناس ترتع
وجرت به نجد ذيول افتخارها   وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر   وأنواره فيها تضيء وتلمع

وأما كتابه المذكور فموضوعه في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحو ذلك وما يقرب منه أو يوصل إليه وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله فوضع عليه شرحا أجاد فيه وأفاد وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب عنده ويراد وسماه تيسير العزيز

الحميد

الحميد في شرح كتاب التوحيد وحيث أطلق شيخ الإسلام فالمراد به أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية والحافظ فالمراد به أحمد بن حجر العسقلاني ولما قرأت شرحه رأيته قد أطنب في مواضع وفي بعضها تكرار يستغنى بالبعض منه عن الكل فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميما للفائدة وسميته التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد والله أسأل أن ينفع به كل طالب للعلم ومستفيد وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وفوز من سعى فيه الجنات النعيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال المصنف رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بحديث كل ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أخرجه ابن حبان من طريقين قال ابن الصلاح والحديث حسن ولأبي داود وابن ماجه كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع ولأحمد كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع وللدارقطني عن أبي هريرة مرفوعا كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع والمصنف رحمه الله قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر للحديث المتقدم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقتصر عليها في مراسلاته كما في كتابه لهرقل عظيم الروم ووقع

لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدا فيها بالبسملة وثنى بالحمد والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وآله والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف
اختار كثير من المتاخرين كونه فعلا خاصا متاخرا اما كونه
فعلا فلان الاصل في العمل للافعال واما كونه خاصا فلان كل
مبتدا بالبسملة في امر يضمر ما جعل البسملة مبدء له واما
كونه متاخرا فلدلالته على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود ولان اهم ما يبدا به ذكر الله و ذكر العلامة
ابن القيم رحمه الله لحذف العامل فوائد منها انه موطن لا
ينبغي ان يتقدم فيه غير ذكر الله ومنها ان الفعل اذا حذف
صح الابتدا بالبسملة في كل عمل وقول وحركة فكان الحذف
اعم انتهى ملخصا وباء بسم الله للمصاحبة وقيل للاستعانة
فيكون التقدير بسم الله أؤلف مستعينا بذكره متبركا
به واما ظهوره في اقرا باسم ربك و في بسم الله مجراها
فلان المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى قوله الله قال
الكسائي والفراء اصله الاله حذفوا الهمزة و ادغموا اللام
في اللام فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة قال العلامة
ابن القيم رحمه الله الصحيح انه مشتق وان اصله الاله
كما هو قول سيبويه وجمهور اصحابه الا من شذ وهو
الجامع لمعاني الاسماء الحسنى والصفات العلى والذين
قالوا بالاشتقاق انما ارادوا انه دال على صفة له

تعالى

تعالى وهي الالهية كسائر اسمائه الحسنى كالعليم والقدير
والسميع والبصير ونحو ذلك فان هذه الاسماء مشتقة
من مصادرها بلا ريب وهي قديمة ونحن لا نعني بالاشتقاق
الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا انها متولدة
منه تولد الفرع من اصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق
منه اصلا وفرعا ليس معناه ان احدهما متولد من الآخر
وانما هو باعتبار ان احدهما يتضمن الآخر وزيادة قال
ابو جعفر بن جرير الله اصله الاله اسقطت الهمزة التي
هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة
وهي ساكنة فادغمت في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما
واحدة مشددة واما تاويل الله فانه على ما روى لنا عن عبد الله
ابن عباس هو الذي يالهه كل شيء ويعبده كل خلق وساق
بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الله ذو
الالوهية والعبودية على خلقه اجمعين فان قال لنا قائل و
ما دلنا على ان الالوهية هي العبادة وان الاله هو المعبود
وان له اصلا في فعل و يفعل وذكر بيت رؤبة بن العجاج
لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تالهي
يعني من تعبد وطلب الله بعمل ولا شك ان التاله التفعل
من اله ياله وقد جاء منه مصدر يدل على ان العرب قد
نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة وذلك ما حدثنا به
سفيان بن وكيع وساق السند الى ابن عباس انه
انه قرء ويذرك والهتك قال عبادتك ويقول

انه كان يُعبدُ ولا يَعبُدُ وساق بسند آخر عن ابن عباس ويذرك
والاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وذكر مثله عن
مجاهد فقد بين قول ابن عباس ومجاهد ان الرعبد وان
الالهة مصدره وساق حدثنا عن ابي سعيد مرفوعا ان
عيسى اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه فقال اكتب باسم الله
فقال عيسى اتدري ما الله الله اله الالهة قال العلامة
ابن القيم رحمه الله تعالى لهذا الاسم الشريف عشر خصائص
لفظيه ثم قال واما خصائصه المعنوية فقد قال اعلم
الخلق صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك وكيف تحصى خصائص اسم لمسماه كل
كمالٍ على الاطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء وكل
مجد وكل اجلالٍ وكل اكرام وكل عز وكل جمال وكل خير
واحسانٍ وجودٍ وفضل وبر فله ومنه فما ذكر هذا
الاسم في قليل الا كثره ولا عند خوف الا ازاله ولا عند
كرب الا كشفه ولا عند هم وغم الا فرجه ولا عند ضيق
الا وسعه ولا تعلق به ضعيف الا افاده القوة ولا ذليل الا اناله
العز ولا فقير الا اصاره غنيا ولا مستوحش الا
انسه ولا مغلوب الا ايده ونصره ولا مضطر الا كشف
ضره ولا شريد الا آواه فهو الاسم الذي تكشف به الكربات
وتستنزل به البركات وتجاب به الدعوات وتقال
به العثرات وتستدفع به السيئات وتستجلب

به الحسنات وهو الاسم الذي قامت به الارض والسموات
وبه انزلت الكتب وبه ارسلت الرسل وبه شرعت الشرائع
وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد وبه انقسمت الخليقة
الى السعداء والاشقياء وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة
وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط وقام سوق
الجنة والنار وبه عبد رب العالمين وحمد وبحقه
بعثت الرسل وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور
وبه الخصام واليه المحاكمة وفيه الموالات والمعادات وبه
سعد من عرفه وقام بحقه وبه شقي من جهله وترك حقه فهو
سر الخلق والامر وبه قاما وثبتا واليه انتهيا فالخلق
به واليه ولاجله فما وجد خلق ولا امر ولا ثواب ولا
عقاب الا مبتديا منه منتهيا اليه وذلك موجبه و
مقتضاه ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار الى آخر كلامه رحمه الله الرحمن الرحيم
قال ابن جرير حدثني السري بن يحيى حدثنا عثمان بن زفر سمعت
العزرمي يقول الرحمن بجميع الخلق والرحيم بجميع المومنين
وساق بسنده عن ابي سعيد يعني الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الآخرة والدنيا
والرحيم رحيم الاخرة قال ابن القيم رحمه الله تعالى واسم الله تعالى دال
على كونه مالوها معبودا تالهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا
ومفزعا اليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته
ورحمته المتضمنين

لكمال الملك والحمد والهيبة وربوبيته ورحمانيته وملكه
مستلزم لجميع صفات كماله اذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس
لمن له ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال
لما يريد ولا حكم في افعاله فصفات الجلال والجمال
اخص باسم الله وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر
والنفع والعطا والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القدرة وتدبير
امر الخليقة اخص باسم الرب وصفات الاحسان والجود و
البر والحنان والرافة واللطف اخص باسم الرحمن قال
ابن القيم رحمه الله تعالى ايضا الرحمن دال على الصفة القائمة به
سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم واذا اردت فهم
هذا فتامل قوله وكان بالمؤمنين رحيما ولم يجئ قط
رحمان بهم وقال ان اسماء الرب تعالى هي اسماء ونعوت
فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية و
الوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه فمن حيث هو صفة جرا
تابعا لاسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القران غير تابع
بل ورود الاسم العلم [كقوله صح] الرحمن على العرش استوى انتهى ملخصا

قوله الحمد لله ومعناه الثنا بالكلام على الجميل على وجه التعظيم
فمورده اللسان والقلب والشكر يكون باللسان والجنان
والاركان فهو اعم من الحمد متعلقا واخص سببا لانه يكون
في مقابلة النعمة والحمد اعم سببا واخص متعلقا لانه يكون في مقابلة النعمة
وغيرها فبينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في مادة
وينفرد كل واحد عن الاخر في مادة قوله وصلى الله على

محمد وعلى آله وسلم اصح ما قيل في معنى صلاة الله على عبده
ما ذكره البخاري رحمه الله عن ابي العالية قال صلاة الله على
ثنائه عليه عند الملائكة وقرره ابن القيم رحمه الله تعالى ونصره
في كتابه جلاء الافهام وبدائع الفوائد قلت وقد
يراد بها الدعاء كما في المسند عن علي مرفوعا الملائكة تصلي
على احدكم ما دام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه
قوله وعلى آله اي اتباعه على دينه نص عليه
احمد هنا وعليه اكثر الاصحاب وعلى هذا فيشمل الصحابة و
غيرهم من المؤمنين

كتاب التوحيد

كتاب مصدر كتب يكتب كتابا وكتابة وكتبا ومدار
المادة على الجمع ومنه تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا والكتيبة
لجماعة الخيل والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف
وسمي الكتاب كتابا لجمعه ما وضع له والتوحيد نوعان توحيد
في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء و
الصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد
الالهية والعبادة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى واما
التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان
توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد
فالاول هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته

فما ذاك الا لانه لم يات به على وجه الكمال المطلوب قال
ابن القيم رحمه الله واما التوحيد الذي دعت اليه رسل
الله ونزلت به كتبه فهو نوعان توحيد في المعرفة
والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالاول هو اثبات
حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وتكلمه
بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده واثبات عموم
قضائه وقدره وحكمته وقد افصح القران عن هذا النوع
حد الافصاح كما في اول الحديد وسورة طه وآخر الحشر
واول الصافات واول تنزيل السجدة واول آل عمران وسورة
الاخلاص بكمالها وغير ذلك النوع الثاني ما تضمنته
سورة قل يا ايها الكافرون وقوله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا واول سورة تنزيل الكتاب
وآخرها واول سورة المؤمن ووسطها واول سورة
الاعراف وآخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور
القران بل كل سورة في القران فهي متضمنة لنوعي التوحيد
شاهدة به داعية اليه فان القران اما خبر عن الله تعالى و
اسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو التوحيد العلمي
الخبري واما دعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له و
خلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي
واما امر ونهي والزام بطاعته وامره ونهيه فهو حقوق
التوحيد

التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرام اهل التوحيد
وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة
فهو جزاء توحيده واما خبر عن اهل الشرك وما
فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى
من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد
فالقران كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شان
الشرك واهله وجزائهم انتهى قال شيخ الاسلام
التوحيد الذي جاء به الرسول انما يتضمن الالهية لله اثبات
وحده بان يشهد ان لا اله الا هو لا يعبد الا اياه ولا
يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له ولا يعادي الا فيه ولا يعمل
الا لاجله وذلك يتضمن اثبات ما اثبته لنفسه من الاسماء
والصفات قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي
فارهبون وقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
وقال تعالى واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون واخبر عن كل نبي من
الانبياء انهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده
لا شريك له وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة و

والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال عن المشركين
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون
ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون وهذا كثير في القران
وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان
ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من
اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا
اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد وانهم
اذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد
فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه
عن كل ما يتنزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شيء لم يكن
مُوَحِّدًا حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان الله
وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده
لا شريك له والاله هو المالوه المعبود الذي يستحق العبادة
وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع فاذا فسر الاله
بمعنى القادر على الاختراع واعتقد ان هذا هو اخص
وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل
ذلك من يفعله من متكلمي الصفاتية وهو الذي يقولونه
عن الحسن وابي عدلم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مشركي العرب
كانوا مقرين بان الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع
هذا مشركين قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والارض

فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى قُلْ
لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا
تذكرون الى قوله فانى تسحرون فليس كل من اقر بان الله تعالى رب
كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه داعيا له دون ما سواه
راجيا له خائفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع
رسله ويأمر بما امر به وينهى عما نهى عنه وعامة المشركين اقروا
بان الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم
وجعلوا له اندادا قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم
ما كنتم تزعمون وقال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله ولهذا كان من اتباع هؤلاء من
يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها
ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك انما الشرك
اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا جعلتها سببا وواسطة
لم اكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا
شرك انتهى كلامه رحمه الله تعالى قوله وقول الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون بالجر عطف

على التوحيد ويجوز الرفع على الابتدا اقال شيخ الاسلام العبادة
هي طاعة الله بامتثال ما امر الله به على السنة الرسل وقال
ايضا العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال
والاعمال الظاهرة والباطنة قال ابن القيم ومدارها على خمس عشرة
قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية وبيان ذلك ان العبادة منقسمة
على القلب واللسان والجوارح والاحكام التي للعبودية خمسة واجب
ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهن لكل واحد من القلب و
اللسان والجوارح وقال القرطبي اصل العبادة التذلل والخضوع
وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لانهم
يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى ومعنى
الاية ان الله تعالى اخبر انه ما خلق الجن والانس الا لعبادته فهذا
هو الحكمة في خلقهم قلت وهي الحكمة الشرعية الدينية قال
العماد ابن كثير وعبادته طاعته بفعل المامور وترك المحظور
وذلك هو حقيقة دين الاسلام لان معنى الاسلام الاستسلام
لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع انتهى و
قال ايضا في تفسير هذه الاية ومعنى الاية ان الله خلق الخلق
ليعبدوه وحده لا شريك له فمن اطاعه جازاه اتم الجزاء ومن
عصاه عذبه اشد العذاب واخبر انه غير محتاج اليهم بل
هم الفقراء اليه في جميع احوالهم وهو خالقهم ورازقهم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الاية الا لآمرهم ان
يعبدون وادعوهم الى عبادتي وقال مجاهد الا لآمرهم و
انهاهم اختاره الزجاج وشيخ الاسلام قال ويدل على هذا
قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى قال الشافعي لا

فلم يزل سبحانه يرسل الرسل بذلك منذ حدث الشرك
في قوم نوح الذين ارسل اليهم وكان اول رسول
بعثه الله تعالى الى اهل الارض الى ان ختمهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم الذي طبقت دعوته الانس والجن في المشارق و
المغارب وكلهم كما قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
تعالى في هذه الاية الكريمة ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكيف يسوغ لاحد
من المشركين بعد هذا ~~الا يقول بعد هذا~~ ان يقول
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء فمشيئة الله تعالى
الشرعية عنهم منفية لانه نهاهم عن ذلك على السن
رسله واما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرا — القدرية
فلا حجة لهم فيه لانه تعالى خلق النار واهلها
من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر
وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة فلهذا قال
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
انتهى قلت وهذه الاية تفسير للاية قبلها وذلك قوله
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
فتدبر ودلت هذه الاية على ان الحكمة في ارسال الرسل
دعوتهم اممهم الى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة
ما سواه وان هذا هو دين الانبياء والمرسلين وان
اختلفت شرائعهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة و

منها جا قال الله لابد في الايمان من العمل من القلب والجوارح

قال ـــ وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا قال مجاهد وقضى يعني ووصى وكذا قرء
ابي بن كعب وبن مسعود وغيرهم ولابن جرير عن بن عباس وقضى ربك يعني امر وقوله ان لا تعبدوا الا اياه المعنى
ان تعبدوه وحده دون ما سواه وهذا معنى لا اله الا الله
قال ـــ العلامة بن القيم رحمه الله تعالى والنفي المحض ليس
توحيدا وكذلك الاثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد
الا متضمنا للنفي والاثبات وهذا هو حقيقة التوحيد
وقوله وبالوالدين احسانا اي وقضى ان تحسنوا بالوالدين
احسانا كما قضى بعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى
في الاية الاخرى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف
اي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التافيف الذي هو ادنى
مراتب القول السيء ولا تنهرهما اي لا يصدر منك
اليهما فعل قبيح كما قال عطا بن ابي رباح لا تنفض يديك
على والديك ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح
امره بالفعل الحسن والقول الحسن فقال وقل لهما قولا كريما
اي لينا طيبا بادب وتوقير واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة اي تواضع لهما وقل رب ارحمهما اي في كبرهما
وعند وفاتهما كما ربياني صغيرا وقد ورد

في بر

في بر الوالدين احاديث كثيرة منها الحديث المروي
من طرق عن انس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما صعد المنبر قال آمين آمين آمين فقالوا يا رسول الله
على ما امنت قال اتاني جبريل فقال يا محمد رغم انف امرئ
ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال
رغم انف امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر
له قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم انف امرئ ادرك
ابويه او احدهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين فقلت آمين
وروى الامام احمد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم رغم انف ثم رغم انف
ثم رغم انف رجل ادرك والديه او احدهما او كلاهما لم
يدخل الجنة قال العماد بن كثير صحيح من هذا الوجه وعن ابي
بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر
الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور الا
وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت رواه
البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الرب في رضى الوالدين
وسخطه في سخط الوالدين رواه الترمذي وصححه بن حبان
والحاكم وعن ابي اسيد الساعدي قال بينما نحن جلوس
عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا
رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما

٩

فقال نعم الاستغفار لهما والصلاة عليهما وانفاذ عهدهما بعدهما
وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما رواه
ابو داود وبن ماجه والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
جدا قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى في هذه الاية يامر تعالى
عباده بعبادته وحده لا شريك له فانه الخالق الرازق المنعم
المتفضل على خلقه في جميع الحالات وهو المستحق منهم
ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته انتهى
وهذه الاية هي التي تسمى آية الحقوق العشرة وفي بعض
النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الاية
على آية الانعام ولهذا قدمتها لمناسبة كلام بن
مسعود الاتي لاية الانعام ليكون ذكرها بعدها انسب
وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا
به شيئا وبالوالدين احسانا الايات قال العماد بن كثير
يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء
المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله تعالوا
اي هلموا واقبلوا اتل اي اقص عليكم ما حرم ربكم عليكم حقا
لا تخرصا ولا ظنا بل وحيا منه وامرا من عنده ان لا تشركوا
به شيئا وكأن في الكلام محذوفا دل عليه السياق تقديره
وصاكم ان لا تشركوا به شيئا ولهذا قال في آخر الاية ذلكم
وصاكم به انتهى قلت فيكون المعنى حرم عليكم ما وصاكم
بتركه من الاشراك به وفي المغني لابن هشام في قوله تعالى

ان لا تشركوا به شيئا سبعة اقوال احسنها هذا الذي
ذكره بن كثير وعليه بين لكم ذلك لئلا تشركوا فحذفت
الجملة من احدهما وهي وصاكم وحرف الجر وما قبله من
الاخرى ولهذا اذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يقول اعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم كما قال ابو سفيان
لهرقل وهذا هو الذي فهم ابو سفيان وغيره من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله تفلحوا و
قوله وبالوالدين احسانا قال القرطبي الاحسان الى
الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال
امرهما وازالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما و
احسانا نصب على المصدرية وناصبه فعل من لفظه تقديره
واحسنوا بالوالدين احسانا وقوله ولا تقتلوا اولادكم
من املاق نحن نرزقكم واياهم الاملاق الفقر اي لا
تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر فاني رازقكم
واياهم وكان منهم من يفعل ذلك بالذكور خشية الفقر
ذكره القرطبي وفي الصحيحين عن بن مسعود قلت يا رسول
الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم
معك قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق الاية وقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها

وما بطن قال بن عطية نهي عام عن جميع انواع الفواحش
وهي المعاصي وظهر و بطن حالتان تستوفيان
اقسام ما جعلتا له من الاشياء انتهى قوله ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في الصحيحين عن بن
مسعود رضي الله عنه مرفوعا لا يحل دم امرئ مسلم يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا باحدى ثلث
الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق
للجماعة قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال بن عطية
ذالكم اشارة الى هذه المحرمات والوصية الامر الموكد
المقرر قوله لعلكم تعقلون لعل للتعليل اي ان الله
تعالى وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه ونعمل بها وفي تفسير
الطبري الحنفي ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون
لانهم اذا عقلوا تذكروا فاذا تذكروا خافوا واتقوا قوله
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده
قال بن عطية هذا النهي عام عن القرب الذي يعم وجوه
التصرف وفيه سد الذريعة ثم استثنى ما يحسن وهو
السعي في نمائه قال مجاهد التي هي احسن التجارة فيه قوله
حتى يبلغ اشده قال مالك وغيره هو الرشد وزوال
السفه مع البلوغ روي نحو هذا عن زيد بن اسلم والشعبي
وربيعة وغيرهم قوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط
قال بن كثير يامر تعالى باقامة العدل في الاخذ والاعطاء
لا نكلف نفسا الا وسعها اي من اجتهد في اداء
الحق واخذه فان اخطا بعد استفراغ الوسع وبذل جهده

فلا حرج

فلا حرج عليه قوله واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
هذا امر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد
قال الحنفي العدل في حق الولي والعدو . وان لا يتغير في الرضى
والغضب بل يكون على الحق ولو كان ذا قربى فلا يميل الى الحبيب و
القريب ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو
اقرب للتقوى وبعهد الله اوفوا قال بن جرير وبوصية الله
التي وصاكم بها فاوفوا وانقادوا لذلك بان تطيعوه فيما امركم به
ونهاكم عنه وتعملون بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك
هو الوفاء بعهد الله وكذا قال غيره ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به قال
القرطبي هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم فانه نهى وامر وحذر
عن اتباع غير سبيله على ما بينته الاحاديث الصحيحة واقاويل السلف
وان في موضع نصب اي اتل ان هذا صراطي مستقيما عن الفراء
والكسائي ويجوز ان يكون خفضا اي وصاكم به وبان هذا
صراطي قالوا والصراط الطريق الذي هو دين الاسلام مستقيما
نصب على الحال ومعناه مستويا قيما لا اعوجاج فيه فامر
باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه
ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجى ومن
خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار قال تعالى ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله اي تميل انتهى وروى الامام احمد
والنسائي والدارمي وبن ابي حاتم والحاكم وصححه عن بن مسعود
قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله

مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله ثم قال وهذه
السبل ليس منها سبيل الا وعليه شيطان يدعو اليه ثم قرا وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية وعن
مجاهد ولا تتبعوا السبل قال البدع والشبهات ولنذكر قال ابن القيم
في الصراط المستقيم قولا وجيزا فان الناس قد تنوعت عباراتهم
عنه بحسب صفاته ومتعلقاته وحقيقته شيء واحد وهو طريق
الله الذي نصبه لعباده موصلا اليه ولا طريق اليه سواه
بل الطرق كلها مسدودة على الخلق الا طريقه الذي نصبه
على السن رسله وجعله موصلا لعباده اليه وهو افراده بالعبودية
وافراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به احدا في عبوديته ولا يشرك
برسوله صلى الله عليه وسلم احدا في طاعته فيجرد التوحيد
ويجرد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا كله مضمون
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاي شيء فسر
به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الاصلين ونكتة
ذلك ان تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله فلا يكون في
قلبك موضع الا معمورا بحبه ولا يكون لك ارادة الا
متعلقة برضاه فالاول يحصل بتحقيق شهادة ان لا اله الا
الله والثاني يحصل بتحقيق شهادة ان محمدا رسول الله
وهذا هو الهدى ودين الحق ومعرفة الحق والعمل به وهو
معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به وقل ما شئت من
العبارات التي هذا اخيتها وقطب رحاها قال وقال
سهل بن عبد الله عليكم بالاثر والسنة فاني اخاف انه
سياتي عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي صلى الله عليه وسلم

والاقتداء به

والاقتداء به في جميع احواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه بلغ مقابلة
واذلوه واهانوه قوله قال ابن مسعود من اراد ان
ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه
فليقرا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه الاية قوله ابن مسعود هو عبد الله
ابن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب الهذلي ابو عبد
الرحمن صحابي جليل من السابقين الاولين واهل بدر و
احد والخندق وبيعة الرضوان ومن كبار علماء الصحابة
امره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين
رضي الله عنه وهذا الاثر رواه الترمذي وحسنه
وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني بنحوه قال
بعضهم معناه من اراد ان ينظر الى الوصية التي كانها
كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرا الى اخر الايات قل تعالوا
شبهها بالكتاب الذي كتب ثم ختم فلم يزد فيه ولم ينقص
فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص الا بكتاب الله كما
قال فيما رواه مسلم واني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
كتاب الله وقد روى عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبايعني على هؤلاء الايات الثلاث
ثم تلا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم حتى فرغ من ثلاث الايات
ثم قال من وفى بهن فاجره على الله ومن انتقص منهن
شيئا فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن اخره
الى الاخرة فامره الى الله ان شاء آخذه وان شاء عفى

عنه د والابن ابي حاتم والحاكم وصححه ومحمد بن نصر في
الاعتصام قلت ولان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يوص امته الا بما اوصاهم به الله تعالى على لسانه وفي
كتابه الذي نزله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين وهذه الايات وصية الله تعالى ووصية رسوله
صلى الله عليه وسلم قوله عن معاذ بن جبل قال كنت
رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا معاذ
اتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله
قلت الله ورسوله اعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب
من لا يشرك به شيئا قلت يا رسول الله افلا ابشر
الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا اخرجاه في الصحيحين
هذا الحديث في الصحيحين من طرق وفي بعض رواياته
نحو ما ذكره المصنف ومعاذ هو ابن جبل بن عمرو بن اوس الانصاري
الخزرجي ابو عبد الرحمن صحابي مشهور من اعيان الصحابة
شهد بدرا وما بعدها وكان اليه المنتهى في العلم
والاحكام والقران رضي الله عنه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم معاذ يحشر يوم القيامة امام العلماء
برتوة اي بخطوة قال في القاموس والرتوة الخطوة
وشرف من الارض وسويعة من الزمان والدعوة
والفطرة ورمية بسهم او نحو ميل او مدى البصر والراتي
العالم الرباني انتهى وقال في النهاية انه يتقدم العلماء
برتوة اي برمية سهم وقيل بميل وقيل مدى البصر و

هذه الثلاثة

هذه الثلاثة اشبه بمعنى الحديث مات سنة ثماني عشرة
بالشام في طاعون عمواس واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم
على اهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم قوله كنت
رديف النبي صلى الله عليه وسلم فيه جواز الارداف على الدابة
وفضيلة معاذ قوله على حمار في رواية اسمه عفير قلت
اهداه اليه المقوقس صاحب مصر وفيه تواضعه صلى الله عليه
وسلم لركوب الحمار والارداف عليه خلافا لما عليه اهل الكبر
قوله اتدري ما حق الله على العباد اخرج السؤال
بصيغة الاستفهام ليكون اوقع في النفس وابلغ في فهم
المتعلم وحق الله على العباد هو ما يستحقه عليهم وحق العباد
على الله معناه انه متحقق لا محالة لانه قد وعدهم ذلك جزاء
لهم على توحيده ووعد الله لا يخلف الله وعده قال
شيخ الاسلام كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق
انعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق
على المخلوق فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق
الا انه اخبر بذلك ووعده صدق ولكن اكثر الناس يثبتون
استحقاقا زائدا على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة قال
تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين لكن اهل السنة
يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة واوجب على نفسه الحق
لم يوجبه عليه مخلوق والمعتزلة يدعون انه واجب
عليه بالقياس على المخلوق وان العباد هم الذين اطاعوه
بدون ان يجعلهم مطيعين له وانهم يستحقون الجزاء
بدون ان يكون هو الموجب وغلطوا في ذلك وهذا الباب

غلطت فيه الجبرية القدرية اتباع جهم و القدرية النافية
قوله ~~ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا~~ فقلت الله ورسوله
اعلم فيه حسن الادب من المتعلم وانه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم
ان يقول ذلك بخلاف اكثر المتكلفين قوله ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا اي يوحدوه بالعبادة ولقد احسن
العلامة ابن القيم حيث عرف العبادة بتعريف جامع فقال

وعبادة الرحمن غاية حبه — مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر — ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالامر امر رسوله — لا بالهوى والنفس والشيطان

قوله ولا يشركوا به شيئا اي يوحدوه بالعبادة فلا بد من
التجرد من الشرك في العبادة ومن لم يتجرد من الشرك
لم يكن آتيا بعبادة الله وحده بل هو مشرك قد جعل لله ندا
وهذا معنى قول المص رحمه الله تعالى وفيه ان العبادة هي
التوحيد لان الخصومة فيه وفي بعض الاثار الالهية
اني والجن والانس في نبإ عظيم اخلق ويعبد غيري و
ارزق ويشكر سواي خيري الى العباد نازل وشرهم الي
صاعد اتحبب اليهم بالنعم ويتبغضون الي بالمعاصي
قوله وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك
به شيئا قال الحافظ اقتصر على نفي الاشراك لانه يستدعي
التوحيد بالاقتضاء ويستدعي اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب
رسول الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهو
مثل قول القائل من توضا صحت صلاته اي مع سائر الشروط
انتهى قوله افلا ابشر الناس فيه استحباب بشارة المسلم

بما يسره

بما يسره وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل
هذا قاله المص رحمه الله قوله لا تبشرهم فيتكلوا اي
يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الاعمال وفي رواية
فاخبر بها معاذ عند موته تاثما اي تحرجا من الاثم
قال الوزير ابو المظفر لم يكن يكتمها الا عن جاهل يحمله جهله على
سوء الادب بترك الخدمة في الطاعة فاما الاكياس الذين
اذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة ورأوا ان زيادة النعم
تستدعي لزيادة الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم وفي الباب
من الفوائد غير ما تقدم الحث على اخلاص العبادة لله وانها لا تنفع
مع الشرك بل لا تسمى عبادة والتنبيه على عظمة حق الوالدين
وتحريم عقوقهما والتنبيه على عظمة الايات المحكمات في سورة
الانعام وجواز كتمان العلم للمصلحة قوله اخرجاه اي
البخاري ومسلم والبخاري هو محمد بن اسمعيل [ابن ابرهيم صح] بن بردزبة
الجعفي مولاهم الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ
والادب المفرد وغير ذلك من مصنفاته روى عن الامام
احمد بن حنبل والحميدي وابن المديني وطبقتهم وروى
عنه مسلم والنسائي والترمذي والفربري راوي الصحيح
ولد سنة اربع وتسعين ومائة ومات سنة خمس وخمسين
ومائتين ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم ابو الحسين
القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوحدان
وغير ذلك روى عن احمد بن حنبل ويحيى بن معين
وابي خيثمة وابن ابي شيبة وطبقتهم وروى عن البخاري
صحيحه وروى عنه الترمذي وابرهيم بن محمد بن سفيان
راوي الصحيح وغيرهما ولد سنة اربع ومائتين ومات

سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور رحمها الله تعالى

قوله باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

باب خبر مبتدا محذوف تقديره هذا او ما يجوز ان تكون موصولة والعائد محذوف اي وبيان الذي يكفره من الذنوب ويجوز ان تكون مصدرية اي وتكفيره الذنوب وهذا الثاني اظهر قوله وقول الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قال ابن جرير حدثني المثنى وساق بسنده عن الربيع ابن انس قال الايمان الاخلاص لله وحده قال ابن كثير في الاية اي هؤلاء الذين اخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيمة المهتدون في الدنيا والاخرة وقال زيد بن اسلم وابن اسحاق هذا من الله على فصل القضا بين ابرهيم وقومه وعن ابن مسعود لما نزلت هذه الاية قالوا فاينا لم يظلم نفسه قال عليه السلام ان الشرك لظلم عظيم وساق البخاري بسنده فقال حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا ابي حدثنا الاعمش حدثني ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قلنا يا رسول الله اينا لم يظلم نفسه قال ليس كما تقولون لم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك او لم تسمعوا الى قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولاحمد بنحوه عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذي تعنون الم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم [illegible] انما هو الشرك وعن عمر انه فسره بالذنب فيكون الامن من كل عذاب وقال الحسن والكلبي اولئك لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا قال شيخ الاسلام الذين شق عليهم ظنوا ان الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه وانه لا امن ولا اهتدى الا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما دلهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله فلا يحصل الامن والاهتدى الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم فان من لم يلبس ايمانه بهذا الظلم كان من اهل الامن والاهتدا كما كان من اهل الاصطفى في قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الاية وهذا لا ينفي ان يؤاخذ احدهم بظلم لنفسه بذنب اذا لم يتب كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد سال ابو بكر الصديق رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اينا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن اليس يصيبكما اللأوى فذلك ما تجزون به فبين ان المؤمن الذي اذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب قال فمن سلم من اجناس الظلم الثلاثة الشرك وظلم العباد وظلمه لنفسه بما دون الشرك كان له الامن والاهتدا التام ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الامن والاهتدا مطلقا بمعنى انه لابد ان يدخل الجنة كما وعد بذلك في الاية الاخرى وقد هداه الله الى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه الجنة ويحصل له من نقص الامن و

والاهتدا بحسب ما نقص من ايمانه بظلمه لنفسه ليس مراد
النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك ان من لم يشرك (بقوله)
الشرك الاكبر يكون له الامن التام والاهتدى التام فان
احاديثه الكثيرة مع نصوص القران تبين ان اهل الكبائر
معرضون للخوف لم يحصل لهم الامن التام والاهتدا التام
الذي يكونون به مهتدين الى الصراط المستقيم صراط الذين
انعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم بل معهم اصل
الاهتدا الى هذا الصراط ومعهم اصل نعمة الله عليهم ولا
بد لهم من دخول الجنة وقوله انما هو الشرك ان اراد الاكبر
فمقصوده ان من لم يكن من اهله فهو آمن مما وعد به المشركون
من عذاب الدنيا والاخرة وان كان مراده جنس الظلم (الذكر)
فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو
شرك اصغر وحبه ما يبغضه الله تعالى حتى قدم هواه
على محبة الله شرك اصغر ونحو ذلك فهذا فاته من الامن
والاهتدا بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب
في هذا الشرك بهذا الاعتبار انتهى ملخصا وقال ابن
القيم رحمه الله تعالى قوله لما نزل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قال الصحابة وايّنا
يا رسول الله لم يلبس ايمانه بظلم قال ذلك الشرك
الم تسمعوا قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم فلما
اشكل عليهم المراد بالظلم فظنوا ان ظلم النفس داخل فيه
وان من ظلم نفسه اي ظلم كان لم يكن آمنا ولا مهتديا
اجابهم صلوات الله وسلامه عليه بان الظلم الرافع للامن

والاهتدا

والاهتدا على الاطلاق هو الشرك وهذا والله هو الجواب
الذي يشفي العليل ويروي الغليل فان الظلم المطلق التام
هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها والامن و
الهدى المطلق هو الامن في الدنيا والاخرة والهدى
الى الصراط المستقيم فالظلم المطلق رافع للامن والهدى (التام)
المطلق التام ولا يمنع ذلك ان يكون مطلق الظلم مانعا
من مطلق الامن ومطلق الهدى فتامل فالمطلق للمطلق
والحصة للحصة انتهى (ملخصا) قوله وعن عبادة بن الصامت رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة
على ما كان من العمل اخرجاه عبادة بن الصامت
ابن قيس الانصاري الخزرجي ابو الوليد احد النقباء
بدري مشهور مات بالرملة سنة اربع وثلاثين وله
اثنتان وسبعون سنة وقيل عاش الى خلافة معاوية
قوله من شهد ان لا اله الا الله اي من تكلم بها
عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا كما قال تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله وقال الا من شهد بالحق وهم
يعلمون اما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين
ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك واخلاص القول والعمل
قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع
بالاجماع قال في المفهم على صحيح مسلم باب لا يكفي مجرد
التلفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب هذه (التلفظ)

الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين
بان التلفظ في الشهادتين كاف في الايمان واحاديث
هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد
من الشريعة لمن وقف عليها ولانه يلزم منه تسويغ النفاق
والحكم للمنافق بالايمان الصحيح وهو باطل قطعا انتهى
وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قوله من شهد
فان الشهادة لا تصح الا اذا كانت عن علم ويقين قال
النووي هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو اجمع او من اجمع
الاحاديث المشتملة على العقائد فانه صلى الله عليه وسلم جمع فيه
ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها
فاقتصر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحرف على ما يباين
جميعهم انتهى ومعنى لا اله الا الله اي لا معبود
بحق الا الله وهو في مواضع من القران و باتي في قول
البقاعي صريحا قوله وحده تاكيد للاثبات قوله
لا شريك له تاكيد للنفي قاله الحافظ كما قال تعالى والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال والى عاد اخاهم هودا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم فاجابوا رادا عليهم خ
من اله غيره ذكروا عليه فاجابوا الفولهم اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وقال تعالى ذلك بان
الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل الاية
فتضمن ذلك نفي الالهية عما سوى الله وهي العبادة
واثباتها لله وحده لا شريك له والقران من اوله
الى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد اليه فالعبادة

بجميع

بجميع انواعها انما تصدر عن تاله القلب بالحب والخضوع
والتذلل رغبا ورهبا وهذا كله لا يستحقه الا الله تعالى كما
تقدم في ادلة هذا الباب وما قبله فمن صرف من ذلك شيئا
لغير الله فقد جعله ندا لله فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل
ذكر كلام العلماء في معنى لا اله الا الله وقد تقدم
كلام ابن عباس وقال الوزير ابو المظفر في الافصاح قوله شهادة
ان لا اله الا الله يقتضي بان يكون الشاهد عالما بان لا اله
الا الله كما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله قال واسم الله مرتفع
بعد الا من حيث انه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه
قال وجملة الفائدة في ذلك ان تعلم ان هذه الكلمة مشتملة على
الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك لما نفيت الالهية
واثبت الايجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن
بالله وقال في البدائع رد القول من قال ان المستثنى مخرج
من المنفي قال بل هو مخرج من النفي وحكمه فلا يكون داخلا في
المنفي اذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الاسلام بقول
لا اله الا الله لانه لم يثبت الالهية لله تعالى وهذه اعظم
كلمة تضمنت نفي الالهية عما سوى الله واثباتها له بوصف
الاختصاص فدلالتها على اثبات الالهية اعظم من دلالة
قولنا الله اله ولا يستريب احد في هذا البتة انتهى بمعناه
وقال ابو عبد الله القرطبي في تفسير لا اله الا الله اي لا
معبود الا هو وقال الزمخشري الاله من اسماء الاجناس
كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب
على المعبود بحق قال شيخ الاسلام الاله هو المعبود المطاع

فان الاله هو المالوه والمالوه هو الذي يستحق ان يُعبد
بما اتصف به من الصفات التي تستلزم ان يكون هو المحبوب
غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع وقال رحمه الله فان الاله
هو المحبوب المعبود الذي تالهه القلوب بحبها وتخضع له و
تذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه في شدائدها وتدعوه
في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجا اليه وتطمئن
بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا لله وحده ولهذا كانت
لا اله الا الله اصدق الكلام وكان اهلها اهل الله
وحزبه والمنكرون لها اعداؤه واهل غضبه ونقمته فاذا
صحت صح بها كل مسالة وحال وذوق واذا لم يصححها العبد
فالفساد لازم له في علومه واعماله وقال ابن القيم الاله هو
الذي تالهه القلوب محبة واجلالا وانابة واكراما وتعظيما
وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا
منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن
اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص
الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا اله الا
الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك
وقال البقاعي لا اله الا الله اي انتفى انتفاء عظيما
ان يكون معبود بحق غير الملك الاعظم فان هذا العلم هو
اعظم الذكرى المنجية من اهوال الساعة وانما يكون
علما اذا كان نافعا وانما يكون نافعا اذا كان مع الاذعان
والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف وقال الطيبي

الاله فعال

الاله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من اله
الهة اي عبد عبادة قال الشارح وهذا كثير
في كلام العلماء واجماع منهم فدلت لا اله الا الله على نفي
الالهية عن كل ما سوى الله تعالى كائنا من كان واثبات
الالهية لله وحده دون ما سواه وهذا هو التوحيد الذي
دعت اليه الرسل ودل عليه القران من اوله الى آخره كما قال
تعالى عن الجن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك
بربنا احدا فلا اله الا الله لا تنفع الا من عرف مدلولها
نفيا واثباتا واعتقد ذلك وقبله وعمل به واما من
قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم في كلام العلماء
ان هذا جهل صرف فهو حجة عليه بلا ريب فقوله في الحديث وحده
لا شريك له تاكيد وبيان لمضمون معناها وقد
اوضح الله ذلك وبينه في قصص الانبياء والمرسلين في
كتابه المبين فما اجهل عباد القبور بحالهم وما اعظم ما
وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الاخلاص لا اله
الا الله فان مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا اله الا الله لفظا
ومعنى وهؤلاء المشركون اقروا بها لفظا وجحدوها معنى
فتجد احدهم يقولها وهو يأله غير الله بانواع العبادة
كالحب والتعظيم والخوف والرجا والتوكل والدعا وغير ذلك
من انواع العبادة بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب
فان احدهم اذا وقع في شدة اخلص الدعاء لغير الله تعالى
ويعتقدون انه اسرع فرجا لهم من الله بخلاف حال
المشركين الاولين فانهم يشركون في الرخاء واما في

الشدائد فانهم يخلصون لله وحده كما قال تعالى فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون فبهذا يتبين ان مشركي العرب
هذه الازمان اجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب
ومن قبلهم قوله وان محمدا عبده ورسوله اي وتشهد
بذلك وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل و
معنى العبد هنا المملوك العابد اي انه مملوك لله تعالى و
العبودية الخاصة والرسالة فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
اكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين واما الربوبية
والالهية فهما حق الله تعالى لا يشركه في شيء منها ملك مقرب
ولا نبي مرسل وقوله عبده ورسوله اتى بهاتين الصفتين
وجمعهما دفعا للافراط والتفريط فان كثيرا ممن يدعي انه
من امته افرط بالغلو قولا وفعلا وفرط بترك متابعته
واعتمد على الاراء المخالفة لما جاء به وتعسف في تاويل
اخباره واحكامه بصرفها عن مدلولها والصدف عن
الانقياد لها مع اطراحها فان شهادة ان محمدا عبده ورسوله
تقتضي الايمان به وتصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر
والانتهاء عما عنه زجر وان يعظم امره ونهيه ولا يقدم
عليه قول احد كائنا من كان والواقع اليوم وقبله خلاف
ذلك فالله المستعان وروى الدارمي في مسنده عن عبد
الله بن سلام رضي الله عنه انه كان يقول انا لنجد صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس

بفظ ولا

بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
مثلها ولكن يعفو ويصفح لن اقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة
بان يشهدوا ان لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا قال عطاء بن يسار واخبرني ابو واقد
الليثي انه سمع كعبا يقول مثل ما قال ابن سلام قوله
وان عيسى عبد الله ورسوله اي خلافا لما يعتقده النصارى
انه الله او ابن الله او ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله فلا بد ان يشهد ان عيسى عبد الله ورسوله
على علم ويقين بانه مملوك خلقه من انثى بلا ذكر كما
قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فليس ربا ولا الها سبحان الله عما
يشركون قال تعالى فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا الاية وقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون الاية ويشهد المؤمن ايضا ببطلان
قول اعدائه اليهود انه ولد بغي لعنهم الله تعالى فلا يصح
اسلام احد حتى يتبرا من قول الطائفتين جميعا في عيسى
عليه السلام ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه انه عبد الله ورسوله
قوله وكلمته انما سمي عيسى عليه السلام كلمة لوجوده
بقوله كن كما قاله السلف من المفسرين قال الامام احمد
في الرد على الجهمية الكلمة التي القاها الى مريم قال له كن
فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن

علم ما كانوا يقولون فيه

من الله تعالى قولاً وليس كن مخلوقا وكذب النصارى و
الجهمية على الله في امر عيسى انتهى قوله القاها الى
مريم قال ابن كثير خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل
الى مريم فنفخ فيها من روحه بامر ربه عز وجل فكان عيسى
باذن الله عز وجل فهو ناشئ عن الكلمة التي قال له كن فكان
والروح التي ارسل بها جبريل عليه السلام قوله وروح
منه قال ابي بن كعب عيسى روح من الارواح التي خلقها
الله تعالى واستنطقها بقوله الست بربكم قالوا بلى
بعثه الله الى مريم فدخل فيها رواه عبد بن حميد وعبد
الله بن احمد في زوائد المسند وابن جرير وابن ابي حاتم
وغيرهم قال شيخ الاسلام المضاف الى الله تعالى اذا كان
معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب
ان يكون صفة لله تعالى قائمة به وامتنع ان تكون اضافته
اضافة مخلوق مربوب فاذا كان المضاف عينا قائمة
بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وارواح بني
آدم امتنع ان تكون صفة لله لان ما قام بنفسه لا
يكون صفة لغيره لكن الاعيان المضافة الى الله تعالى
على وجهين احدهما ان تضاف اليه لكونه خلقها
وابدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم سماء الله
وارض الله فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع المال مال
الله الوجه الثاني ان يضاف اليه لما خصه به
من معنى يحبه ويامر به ويرضاه كما خص البيت
العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره وكما يقال عن

مال الفيء

مال الخمس والفيء هو مال الله ورسوله ومن هذا
الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه واطاعوا امره فهذه
اضافة تتضمن الوهيته وشرعه ودينه وتلك اضافة
تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى ملخصا قوله وان
الجنة حق والنار حق اي ويشهد ان الجنة التي اخبر بها
تعالى في كتابه انه اعدها للمتقين حق ثابتة لا شك فيها
ويشهد ان النار التي اخبر بها تعالى في كتابه انه اعدها
للكافرين حق كذلك ثابتة كما قال تعالى سابقوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله الاية وقال تعالى فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت
للكافرين وفي الايتين ونظائرهما دليل على ان الجنة
والنار مخلوقتان الآن خلافا للمبتدعة وفيهما الايمان
بالمعاد قوله ادخله الله الجنة على ما كان من العمل
هذه الجملة جواب الشرط وفي رواية ادخله الله من اي
ابواب الجنة الثمانية شاء قال الحافظ ومعنى قوله على ما كان
من عمل اي من صلاح او فساد لان اهل التوحيد لابد لهم
من دخول الجنة ويحتمل ان يكون قوله على ما كان من عمل اي يدخل
اهل الجنة على حسب اعمال كل منهم في الدرجات قال
القاضي عياض ما ورد في حديث عبادة يكون خصوصا
لمن قال ما ذكره صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين
حقيقة الايمان والتوحيد الذي ورد في حديثه فيكون
له من الاجر ما يرجح على سيئاته ويوجب له المغفرة والرحمة

ودخول الجنة لاول وهلة قال ولهما في حديث عتبان
فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك
وجه الله قوله ولهما اي للبخاري ومسلم في صحيحيهما
بكماله وهذا طرف من حديث طويل اخرجه الشيخان
وعتبان بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية ثم موحدة
ابن مالك بن عمرو بن العجلان الانصاري من بني سالم بن
عوف صحابي مشهور مات في خلافة معاوية واخرج
البخاري في صحيحه بسنده عن قتادة قال حدثنا انس
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه
على الرحل قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك
قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا
معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من احد
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من
قلبه الا حرمه الله تعالى على النار قال يا رسول الله افلا اخبر به
الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند
موته تأثما وساق بسند آخر حدثنا معتمر قال سمعت
ابي قال سمعت انسا قال ذكر لي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لمعاذ بن جبل من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة
قال الا ابشر الناس قال لا اني اخاف ان يتكلوا قلت
فتبين بهذا السياق معنى شهادة ان لا اله الا الله وانها
تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق ويقين و
اخلاص قال شيخ الاسلام وغيره في هذا الحديث و
نحوه انها فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله

خالصا

خالصا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فان حقيقة
التوحيد انجذاب الروح الى الله تعالى جملة فمن شهد
ان لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لان الاخلاص
هو انجذاب القلب الى الله تعالى بان يتوب من الذنوب
توبة نصوحا فاذا مات على تلك الحال نال ذلك فانه قد
تواترت الاحاديث بانه يخرج من النار من قال لا اله الا
الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة
وما يزن ذرة وتواترت بان كثيرا ممن يقول لا اله الا الله
يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بان الله حرم على النار
ان تاكل اثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون و
يسجدون لله وتواترت بان الله يحرم على النار من قال
لا اله الا الله ومن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال واكثر من
يقولها لا يعرف الاخلاص واكثر من يقولها انما يقولها
تقليدا او عادة ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه وغالب
من يفتن عند الموت وفي القبور امثال هؤلاء كما في الحديث
سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وغالب اعمال هؤلاء
انما هو تقليد واقتداء بامثالهم وهم من اقرب الناس من
قوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
وحينئذ فلا منافاة بين الاحاديث فانه اذا قالها
باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب
اصلا فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب ان يكون الله احب
اليه من كل شيء فاذا لا يبقى في قلبه ارادة لما حرم الله
ولا كراهة لما امر الله وهذا هو الذي يحرم على النار

وان كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا الايمان و
هذا الاخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا
اليقين لا تترك له ذنبا الا محي عنه كما يمحو الليل النهار [illegible]
فاذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الاكبر و
الاصغر فهذا غير مصر على ذنب اصلا فيغفر له ويحرم
على النار وان قالها على وجه خلص به من الشرك الاكبر
دون الاصغر ولم يات بعدها بما ينقض ذلك فهذه الحسنة
لا يقاومها شيء من السيئات فيترجح بها ميزان الحسنات
كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته
في الجنة بقدر ذنوبه وهذا بخلاف من رجحت سيئاته
بحسناته ومات مصرا على ذلك فانه يستوجب النار
وان قال لا اله الا الله وخلص بها من الشرك الاكبر
لكنه لم يمت على ذلك بل اتى بعد ذلك بسيئات رجحت
على حسنة توحيده فانه في حال قولها كان مخلصا لكنه
اتى بذنوب اوهنت ذلك التوحيد والاخلاص
فاضعفته وقويت نار الذنوب حتى احرقت ذلك
بخلاف المخلص المستيقن فان حسناته لا تكون الا راجحة
على سيئاته ولا يكون مصرا على سيئات فان مات على
ذلك دخل الجنة وانما يخاف على المخلص ان ياتي
بسيئة راجحة فيضعف ايمانه فلا يقولها باخلاص و
يقين مانع من جميع السيئات فيخشى عليه من الشرك
الاكبر والاصغر فان سلم من الاكبر بقي معه من
الاصغر فيضيف الى ذلك سيئات تنضم الى هذا الشرك
فيرجح

قال قال موسى يا رب علمني شيئا اذكرك وادعوك به
قال قل يا موسى لا اله الا الله قال كل عبادك يقولون
هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن
غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة
مالت بهن لا اله الا الله رواه ابن حبان والحاكم وصححه
ابو سعيد اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الا
نصاري الخزرجي صحابي جليل وابوه كذلك استصغر
ابو سعيد باحد وشهد ما بعدها مات بالمدينة سنة
ثلاث او اربع او خمس وستين وقيل سنة اربع و
سبعين قوله اذكرك اي اثني عليك به وادعوك اي
اسالك به قوله قل يا موسى لا اله الا الله فيه ان الذاكر
يقولها كلها ولا يقتصر على لفظ الجلالة ولا على هو كما
يفعله غلاة المتصوفة فان بدعة وضلالة قوله كل [illegible]
عبادك يقولون هذا ثبت في خط المص بالجمع والذي
في الاصول يقول بالافراد مراعاة للفظة كل وهو في المسند
من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ الجمع كما ذكره المص على
معنى كل ومعنى كل عبادك يقولون هذا انما اريد [illegible]
شيئا تخصني به من بين عموم عبادك وفي رواية بعد
قوله كل عبادك يقولون هذا قل لا اله الا الله قال لا اله
الا انت يا رب انما اريد شيئا تخصني به ولما كان
بالناس بل بالعالم كله من الضرورة الى لا اله الا الله ما
لا نهاية له كانت من اكثر الاذكار وجودا وايسرها
حصولا واعظمها معنى والعوام والجهال يعدلون

عنها الى الدعوات المبتدعة التي ليست فى الكتاب والسنة
قوله وعامرهن غيري هو بالنصب عطف على السموات اي
لوان السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله تعالى
والارضين السبع ومن فيهن وضعوا في كفة الميزان و
لا اله الا الله فى الكفة الاخرى مالت بهن لا اله الا الله
وروى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته
آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين
السبع لو وضعت في كفة ولا اله الا الله في كفة رجحت
بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين
السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا اله الا الله قوله
في كفة هو بكسر الكاف وتشديد الفاء اي كفة الميزان
قوله مالت بهن اي رجحت وذلك لما اشتملت عليه من
نفي الشرك وتوحيد الله الذي هو افضل الاعمال و
اساس الملة والدين فمن قالها باخلاص ويقين وعمل
بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك
فهذه الحسنة لا يوازنها شيء كما قال الله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ودل الحديث على ان لا اله الا الله افضل الذكر لحديث
عبد الله بن عمرو مرفوعا خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير
ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
رواه احمد

رواه احمد والترمذي وعنه ايضا مرفوعا يصاح برجل
من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له
تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مدى البصر
ثم يقال اتنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول
الك عذرا وحسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقال
بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك فيخرج له
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في
كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان
والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي في
تلخيصه صحيح قال ابن القيم رحمه الله فالاعمال لا تتفاضل
بصورها وعددها وانما تتفاضل بتفاضل ما في
القلوب فتكون صورة العمل واحدة وبينهما من التفاضل
كما بين السماء والارض قال وتامل حديث البطاقة
التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا
كل سجل مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات
فلا يعذب ومعلوم ان كل موحد له هذه البطاقة
وكثير منهم يدخل النار بذنوبه قوله رواه ابن
حبان والحاكم ابن حبان اسمه محمد بن حبان بكسر المهملة و
تشديد الموحدة بن احمد بن حبان بن معاذ ابو حاتم

التميمي البستي الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح
والتاريخ والضعفاء والثقات وغير ذلك ق الحاكم
كان من اوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ
ومن عقلاء الرجال مات سنة اربع وخمسين وثلثمائة بمدينة
بستبا المهملة واما الحاكم فاسمه محمد بن عبد الله بن محمد
النيسابوري ابو عبد الله الحافظ ويعرف بابن البيع
ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة وصنف التصانيف
كالمستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما ومات سنة
خمس واربعمائة قال المص رحمه الله وللترمذي و بلغ
حسنه عن انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها
مغفرة ذكر المص رحمه الله الجملة الاخيرة من الحديث
وقد رواه الترمذي بتمامه فقال عن انس سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم
انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك
ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء
ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو اتيتني الحديث ولا ابالي صح
الترمذي اسمه محمد بن عيسى بن سورة بفتح المهملة
ابن موسى بن الضحاك السلمي ابو عيسى صاحب الجامع
واحد الحفاظ كان ضرير البصر روى عن قتيبة وهناد والبخاري
وخلق مات سنة تسع وسبعين ومائتين وانس هو بن

مالك

مالك بن النضر الانصاري الخزرجي خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين وقال اللهم اكثر
ماله وولده وادخله الجنة مات سنة اثنتين وقيل ثلاث
وتسعين وقد جاوز المائة وقد رواه الامام احمد
من حديث ابي ذر بمعناه وهذا لفظه ومن عمل
قراب الارض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت
له مثلها مغفرة رواه مسلم واخرجه الطبراني من حديث
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لو اتيتني بقراب
الارض بضم القاف وقيل بكسرها والضم اشهر وهو ملؤها
او ما يقارب ملأها قوله ثم لقيتني لا تشرك بي
شيئا شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة
من الشرك كثيره وقليله وصغيره وكبيره ولا يسلم
من ذلك الا من سلم الله تعالى وذلك هو القلب السليم
كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم قال ابن رجب من جاء مع التوحيد
بقراب الارض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة الى ان
قال فان كمل توحيد العبد واخلاصه لله تعالى فيه وقام
بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه او بقلبه ولسانه عند
الموت اوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب
كلها و منعه من دخول النار فمن تحقق بكلمة التوحيد بالكلية
قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا
ومهابة وخشية وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه
خطاياه كلها وان كانت مثل زبد البحر انتهى ملخصا

وفي هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله تعالى
وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم
بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين
وهي الفسوق ويقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد
في النار والصواب قول اهل السنة انه لا يسلب عنه
اسم الايمان ولا يعطاه على الاطلاق بل يقال هو مؤمن
عاص او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا
يدل الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وعن عبد الله
ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي
به الى سدرة المنتهى فاعطي ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من
امته شيئا المقحمات رواه مسلم قال شيخ الاسلام
الشرك نوعان اكبر واصغر فمن خلص منهما وجبت له الجنة
ومن مات على الاكبر وجبت له النار ومن خلص من
الاكبر وحصل له بعض الاصغر مع حسنات راجحة على
ذنوبه دخل الجنة فان تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير
من الشرك الاصغر ومن خلص من الاكبر لكن
كثر الاصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار فالشرك
يؤاخذ به العبد اذا كان اكبر او كان كثيرا اصغر والاصغر
القليل في جانب الاخلاص الكثير لا يؤاخذ به انتهى
قال ابن كثير في تفسيره واخرج الامام احمد والترمذي
وبن ماجة والنسائي عن انس بن مالك قال قرا رسول

الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية هو اهل التقوى و
اهل المغفرة وقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل
معي اله آخر فمن اتقى ان يجعل معي الها كان اهلا ان
اغفر له قال المص رحمه الله تعالى تامل الخمس اللواتي في حديث
عبادة فانك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما
تبين لك معنى قول لا اله الا الله وتبين لك خطاء
المغرورين وفيه ان الانبياء يحتاجون للتنبيه على فضل
لا اله الا الله والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع
مع ان كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه وفيه اثبات الصفات
خلافا للمعطلة وفيه انك اذا عرفت حديث انس وقوله
في حديث عتبان ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله
يبتغي بذلك وجه الله انه ترك الشرك ليس قولها باللسان انتهى
قوله باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
اي ولا عذاب قلت تحقيقه تخليصه وتصفيته من
شوائب الشرك والمعاصي والبدع قوله قال تعالى ان
ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين
وصف ابرهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية
في تحقيق التوحيد الاولى انه كان امة اي قدوة واماما
معلما الخير وما ذاك الا لتكميل مقام الصبر واليقين
الذين تنال بهما الامامة في الدين الثاني قوله قانتا
قال شيخ الاسلام القنوت دوام الطاعة والمصلي اذا
اطال قيامه او ركوعه او سجوده فهو قانت قال تعالى

خ الثانية

امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة و
يرجو رحمة ربه انتهى ملخصا الثالثة انه كان حنيفا
قلت قال العلامة ابن القيم الحنيف المقبل على الله المعرض عن كل
ما سواه انتهى الرابعة انه ما كان من المشركين اي لصحة
اخلاصه وكمال صدقه وبعده عن الشرك قلت يوضح
هذا قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم والذين معه اي على
دينه من اخوانه المرسلين قال ابن جرير رحمه الله تعالى
اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده الاية وذكر تعالى عن خليله
عليه السلام انه قال لابيه آزر واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وادعو ربي الى قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله الاية فهذا هو تحقيق التوحيد وهو
البراءة من الشرك واهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم
وبغضهم فالله المستعان قال المص رحمه الله في هذه
الاية ان ابرهيم كان امة لئلا يستوحش سالك الطريق
من قلة السالكين قانتا لله لا للملوك ولا للتجار المترفين
حنيفا لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين
ولم يك من المشركين خلافا لمن كثر سوادهم وزعم انه من
المسلمين انتهى وقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس في
قوله ان ابرهيم كان امة كان على الاسلام ولم يكن في
زمانه احد على الاسلام غيره قلت ولا منافاة
بين هذا

بين هذا وبين ما تقدم من انه كان اماما يقتدى
به في الخير قوله والذين هم بربهم لا يشركون
وصف المؤمنين السابقين الى الجنة فاثنى عليهم
بالصفات التي اعظمها انهم بربهم لا يشركون
ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في اسلامه من
شرك جلي او خفي نفى ذلك عنهم وهذا هو تحقيق التوحيد
الذي حسنت به اعمالهم وكملت وهذا باعتبار سلامتهم
من الشرك الاصغر واما الشرك الاكبر فلا يقال في تركه
ذلك فتدبر ولو قال الشارح صحت لكان اقوم قال ابن
كثير والذين هم بربهم لا يشركون اي لا يعبدون مع الله
غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا الله احد
صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له قال المص
وعن حصين بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن
جبير فقال ايكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة
فقلت انا ثم قلت اما اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت
قال فما صنعت قلت ارتقيت قال فما حملك على ذلك قلت
حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم قلت حدثنا
عن بريدة بن الحصيب انه قال لا رقية الا من عين او حمة
قال قد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن حدثنا ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي الامم
فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان
والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت
انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فاذا سواد

عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل
منزله فخاض الناس في اولئك فقال بعضهم فلعلهم
الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله
شيئا وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله
فاخبروه فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى
ربهم يتوكلون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان
يجعلني منهم قال انت منهم ثم قام رجل آخر فقال
ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
هكذا اورده المصنف غير معزو وقد رواه البخاري
مختصرا ومطولا ومسلم واللفظ له والترمذي و
النسائي قوله عن حصين بن عبد الرحمن هو السلمي ابو
الهذيل الكوفي ثقة مات سنة ست وثلاثين ومائة
وله ثلاث وتسعون سنة وسعيد بن جبير هو
الامام الفقيه من جلة اصحاب ابن عباس روايته عن
عائشة وابي موسى مرسلة وهو كوفي مولى لبني
اسد قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم
يكمل الخمسين قوله انقض هو بالقاف والضاد
المعجمة اي سقط والبارحة هي اقرب ليلة مضت

قال ابو

قال ابو العباس يقال قبل الزوال رايت الليلة وبعد ثعلب
الزوال رايت البارحة وكذا قال غيره وهي مشتقة
من برح اذا زال قوله اما اني لم اكن في صلاة قال في
مغني اللبيب اما بالفتح والتخفيف على وجهين
احدهما ان تكون حرف استفتاح بمنزلة الا فاذا
وقعت بعدها كسرت الثاني ان تكون بمعنى حقا
او احقا وقال آخرون هي كلمتان الهمزة للاستفهام
وما اسم بمعنى شيء ذلك الشيء فالمعنى احق وهذا حو
هو الصواب وما نصب على الظرفية وهذه تفتح ان بعدها
انتهى والانسب هنا هو الوجه الاول القائل هو حصين
خاف ان يظن الحاضرون انه رآه وهو يصلي فنفى عن
نفسه ايهام العبادة وهذا يدل على فضل السلف وحرصهم
على الاخلاص وابعادهم عن الريا والتزين بما ليس فيه قوله
ولكني لدغت بضم اوله وكسر ثانيه قال اهل اللغة يقال
لدغته العقرب وذوات السموم اذا اصابته بسمها وذلك
بان تأبره بشوكتها قوله قلت ارتقيت لفظ مسلم استرقيت
استرقيت اي طلبت من يرقاني قوله فما حملك على ذلك
فيه طلب الحجة على صحة المذهب قوله حدثنا حدثناه
الشعبي اسمه عامر بن شرحبيل الهمداني ولد في خلافة عمر وهو
من ثقات التابعين وفقهائهم مات سنة ثلاث ومائة
قوله عن بريدة بضم اوله وفتح ثانيه تصغير بردة بن
الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين بن الحارث
الاسلمي صحابي شهير مات سنة ثلاث وستين قاله

ابن سعد قوله لا رقية الا من عين او حمة وقد رواه احمد
وابن ماجة عنه مرفوعا ورواه احمد وابو داود والترمذي
عن عمران بن حصين به مرفوعا قال الهيثمي رجال احمد ثقات
والعين هي اصابة العائن غيره بعينه والحمة بضم المهملة
وتخفيف الميم سم العقرب وشبهها قال الخطابي و
معنى الحديث لا رقية اشفى واولى من رقية العين والحمة وقد
رقى النبي صلى الله عليه وسلم ورقي قوله قد احسن من
انتهى الى ما سمع اي من اخذ بما بلغه من العلم وعمل به
فقد احسن بخلاف من يعمل بجهل او لا يعمل بالعلم فانه مسيء
آثم وفيه فضيلة علم السلف وحسن ادبهم قوله ولكن
حدثنا ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم دعا له فقال اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل فكان كذلك مات بالطائف
سنة ثمان وستين قال المص وفيه عمق علم السلف لقوله
قد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن كذا وكذا فعلم ان
الحديث الاول لا يخالف الثاني قوله عرضت علي الامم
وفي الترمذي والنسائي من رواية عبثر بن القاسم عن
حصين بن عبد الرحمن ان ذلك كان ليلة الاسراء قال
الحافظ فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى
تعدد الاسراء وانه وقع بالمدينة ايضا قلت وفي هذا
نظر قوله فرايت النبي ومعه الرهط الذي في صحيح مسلم
الرهط بالتصغير لا غير وهم الجماعة دون العشرة قال

النووي

اي فيه الرد على من احتج بالكثرة

والنبي

النووي قوله ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد
فيه الرد على من احتج بالكثرة قوله اذ رفع لي سواد عظيم
المراد هنا الشخص الذي يرى من بعيد قوله فظننت انهم
امتي لان الاشخاص التي ترى في الافق لا يدرك منها الا
الصورة وفي صحيح مسلم ولكن انظر الى الافق الاخر ولم يذكره
المص فلعله سقط من الاصل الذي نقل الحديث منه والله اعلم
قوله فقيل لي هذا موسى وقومه اي موسى بن عمران كليم
الرحمن وقومه اتباعه على دينه من بني اسرائيل قوله فنظرت
فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب اي لتحقيقهم
التوحيد وفي رواية ابن فضيل ويدخل الجنة من هؤلاء من
امتك سبعون الفا وفي حديث ابي هريرة في الصحيحين
بانهم تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وروى
الامام احمد والبيهقي في حديث ابي هريرة فاستزدت
ربي فزادني مع كل الف سبعين الفا قال الحافظ وسنده
جيد قوله ثم نهض اي قام قوله فخاض الناس في اولئك
خاض بالخاء والضاد المعجمتين وفي هذا اباحة المناظرة
والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة وبيان الحق
وفيه عمق علم السلف لمعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك الا بعمل
وفيه حرصهم على الخير ذكره المص قوله فقال هم الذين لا يسترقون
هكذا ثبت في الصحيحين وهو كذلك في حديث ابن مسعود
في مسند احمد وفي رواية لمسلم ولا يرقون قال شيخ الاسلام
ابن تيمية هذه الزيادة وهم من الراوي لم يقل النبي

صلى الله عليه وسلم ولا يرقون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد
سئل عن الرقى من استطاع منكم ان ينفع اخاه فلينفعه وقال
لا باس بالرقى ما لم تكن شركا قال والظ فقد رقى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ورقى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
قال والفرق بين الراقي والمسترقي ان المسترقي سائل مستعط
ملتفت الى غير الله بقلبه والراقي محسن قال وانما المراد وصف
السبعين الفا بتمام التوكل فلا يسالون غيرهم ان يكويهم
كما لا يسالون غيرهم ان يرقاهم استسلاما للقضا وتلذذا بالبلا
قلت والظاهر ان قوله لا يكتوون اعم من ان يسالوا ذلك
او يفعل بهم ذلك باختيارهم اما الكي في نفسه فجائز كما
في الصحيح عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى
ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه وفي صحيح البخاري
عن انس انه كوى من ذات الجنب والنبي صلى الله عليه وسلم حي
وروى الترمذي وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كوى من ~~[illegible]~~ اسعد بن زرارة من الشوكة وفي صحيح
البخاري عن ابن عباس مرفوعا الشفا في ثلاث شربة عسل
وشرطة محجم وكية نار وانا انهى عن الكي وفي لفظ وما
احب ان اكتوي قال ابن القيم رحمه الله قد تضمنت احاديث
الكي اربعة انواع احدها فعله والثاني عدم محبته
والثالث الثنا على من تركه والرابع النهي عنه ولا تعارض بلغ
بينها بحمد الله فان فعله له يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل
على المنع منه واما الثناء على تاركه فيدل على ان تركه اولى
وافضل واما النهي فعلى سبيل الاختيار والكراهة قوله
ولا يتطيرون اي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها وسياتي

بيان

بيان الطيرة وما يتعلق بها في بابها ان شاء الله تعالى قوله
وعلى ربهم يتوكلون ذكر الاصل الجامع الذي تفرعت
عنه هذه الافعال والخصال وهو التوكل على الله وصدق
الالتجا اليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو نهاية تحقيق
التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والرجا والخوف و
الرضى به ربا والها والرضا بقضائه واعلم ان الحديث
لا يدل على انهم لا يباشرون الاسباب اصلا فان مباشرة الاسباب
في الجملة امر فطري لا انفكاك لاحد عنه بل نفس التوكل مباشرة
لاعظم الاسباب كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه اي كافيه وانما المراد انهم يتركون الامور المكروهة
مع حاجتهم اليها توكلا على الله تعالى كالاكتوا والا
استرقاء فتركهم له لكونه سببا مكروها لا سيما والمريض
يتشبث فيما يظنه سببا للشفائ بخيط العنكبوت واما مباشرة
الاسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في
التوكل فلا يكون تركه مشروعا لما في الصحيحين عن ابي
هريرة مرفوعا ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء
علمه من علمه وجهله من جهله وعن اسامة بن شريك قال
كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الاعراب
فقالوا يا رسول الله انتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا
فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد
قالوا وما هو قال الهرم رواه احمد وقال ابن القيم رحمه الله تعالى
وقد تضمنت هذه الاحاديث اثبات الاسباب والمسببات

وابطال قول من انكرها والامر بالتداوي وانه لاينافي التوكل كما لاينافيه دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد باضدادها بل لاتتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى من التوكل فان تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ماينفع العبد في دينه ودنياه ودفع مايضره في دينه ودنياه ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الاسباب والا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا وقد اختلف العلماء في التداوي هل هو مباح وتركه افضل او مستحب او واجب فالمشهور عن احمد الاول والمشهور عند الشافعية الثاني حتى ذكر النووي في شرح مسلم انه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف واختاره الوزير ابو المظفر قال ومذهب ابي حنيفة انه مؤكد حتى يداني به الوجوب قال ومذهب مالك انه يستوي فعله وتركه فانه قال لاباس بالتداوي ولا باس بتركه وقال شيخ الاسلام ليس بواجب عند جماهير الائمة وانما اوجبه طائفة قليلة من اصحاب الشافعي واحمد قوله فقام عكاشة بن محصن هو بضم العين وتشديد الكاف ومحصن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين بن حرثان بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة الاسدي من بني اسد بن خزيمة كان من السابقين الى الاسلام

الى الاسلام ومن اجمل الرجال هاجر وشهد بدرا وقاتل فيها واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الاسدي سنة اثنتي عشرة ثم اسلم طليحة بعد ذلك وجاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن ابي وقاص واستشهد في وقعة الجسر المشهورة قوله فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم وللبخاري في رواية فقال اللهم اجعله منهم وفيه طلب الدعاء من الفاضل قوله ثم قام رجل آخر ذكره مبهما ولاحاجة بنا الى البحث عن اسمه قوله فقال سبقك بها عكاشة قال القرطبي لم يكن عند الثاني من الاحوال ماكان عند عكاشة فلذلك لم يجبه اذ لو اجابه لجاز ان يطلب ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل الامر فسد الباب بقوله ذلك انتهى قال المص وفيه استعمال المعاريض وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم

باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء قال ابن كثير يخبر تعالى انه لايغفر ان يشرك به اي لايغفر لعبد لقيه وهو مشرك ويغفر مادون ذلك لمن يشاء اي من الذنوب لمن يشاء من عباده انتهى فتبين بهذه الاية ان الشرك اعظم الذنوب لان الله تعالى اخبر انه لا يغفره لمن لم يتب منه ومادونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة ان شاء غفره لمن لقيه به وان شاء عذبه وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شانه عند الله لانه اقبح القبيح واظلم الظلم وتنقص لرب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به كما قال تعالى ثم الذين

كفروا بربهم يعدلون ولانه مناقض للمقصود بالخلق والامر
مناف من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار
عن طاعته والذل له والانقياد لاوامره الذي لا صلاح للعالم
الا به لذلك متى خلي منه خرب وقامت القيمة كما قال صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله رواه مسلم ولان
الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الالهية
من ملك الضر والنفع والعطا والمنع الذي يوجب تعلق الدعا
والخوف والرجاء والتوكل وانواع العبادة كلها بالله وحده
فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة والعاقبة للمتقين صح شبيها بمن له الحمد كله وله الخلق كله وله الملك كله
وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله فازمة الامور كلها بيده
سبحانه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشا لم يكن لا مانع لما
اعطى ولا معطي لما منع الذي اذا فتح للناس رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فاقبح
التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات
ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي
لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة
كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء
والانابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية
الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لله وحده
ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن فعل من ذلك
شيئا لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له
ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله فلهذه الامور وغيرها

اخبر سبحانه

اخبر سبحانه انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة
هذا معنى كلام ابن القيم رحمه الله وفي الاية رد على الخوارج
المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بان اصحاب
الكبائر يخلدون في النار وليسوا عندهم بمؤمنين ولا
كفار ولا يجوز ان يحمل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء على التائب فان التائب من الشرك مغفور له
كما قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهنا عمم و
اطلق لان المراد به التائب وهناك خص وعلق لان المراد
به من لم يتب هذا ملخص كلام شيخ الاسلام قوله
وقال الخليل عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
الصنم ما كان منحوتا على صورة والوثن ما كان موضوعا منحوتا
على غير ذلك ذكره الطبري عن مجاهد قلت وقد يسمى
الصنم وثنا ويقال الوثن اعم وهو قوي فالاصنام اوثان
كما ان القبور اوثان وبالعكس قوله واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام اي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الاصنام
وباعد بيننا وبينها وقد استجاب الله دعاءه وجعل بنيه
انبياء وجنبهم عبادة الاصنام وقد بين ما يوجب الخوف
من ذلك بقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس فانه
هو الواقع في كل زمان فاذا عرف الانسان ان كثيرا وقعوا في
الشرك الاكبر وضلوا بعبادة الاصنام اوجب ذلك
خوفه من ان يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفر

قال ابرهيم التيمي ومن يامن البلا بعد ابرهيم رواه ابن جرير
وبن ابي حاتم فلا يامن الوقوع في الشرك الا من هو جاهل به
وبما يخلصه من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده و
النهي عن الشرك به قال المص وفي الحديث اخوف ما اخاف
عليكم الشرك الاصغر فسئل عنه فقال الرياء اورد المص هذا
الحديث مختصرا غير معزو وقد رواه الامام احمد والطبراني
والبيهقي وهذا لفظ احمد حدثنا يونس ثنا الليث عن
يزيد يعني بن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى
يوم القيمة اذا جازى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء قال المنذري
ومحمود بن لبيد رءى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح له منه سماع فيما ارى
وذكر بن ابي حاتم ان البخاري قال له صحبة ورجحه بن عبد
البر والحافظ وقد رواه الطبراني باسانيد جيدة عن محمود
ابن لبيد عن رافع بن خديج مات محمود سنة ست وتسعين
وقيل سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة قوله ان
اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر هذا من شفقته صلى
الله عليه وسلم بامته ورحمته ورافته بهم فلا خير الا دلهم عليه و
امرهم به ولا شر الا بينه لهم واخبرهم به ونهاهم عنه كما
قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه ما بعث الله من نبي الا كان
حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما
يعلمه

يعلمه لهم فاذا كان الشرك الاصغر مخوفا على اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع كمال علمهم وقوة ايمانهم فكيف لا
يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والايمان بمراتب
خصوصا اذا عرف ان اكثر علماء الامصار اليوم لا يعرفون
من التوحيد الا ما اقر به المشركون وما عرفوا معنى الالهية
التي نفتها كلمة الاخلاص عن كل ما سوى الله واخرج ابو يعلى
وبن المنذر عن حذيفة بن اليمان عن ابي بكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل قال
ابو بكر يا رسول الله وهل الشرك الا ما عبد من دون الله او ما
دعي مع الله قال ثكلتك امك الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل
الحديث وفيه ان تقول اعطاني الله وفلان والند ان يقول الانسان
لولا فلان قتلني فلان انتهى من الدرة قال المص رحمه الله و
عن بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار رواه البخاري قال بن
القيم الند الشبيه يقال فلان ند فلان ونديده اي مثله و
شبهه انتهى قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قوله
من مات وهو يدعو من دون الله ندا اي يجعل لله ندا في العبادة يدعوه
ويسأله ويستغيث به دخل النار قال العلامة بن القيم
رحمه الله تعالى

والشرك فاحذره فشرك ظاهر … ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن ايا … كان من حجر ومن انسان
يدعوه او يرجوه ثم يخافه … ويحبه كمحبة الديان

واعلم ان اتخاذ الند على قسمين الاول ان يجعله لله شريكا
في انواع العبادة او بعضها كما تقدم وهو شرك اكبر

والثاني ما كان من نوع الشرك الاصغر كقول الرجل ما شا الله
وشئت ولولا الله وانت وكيسير الرياء فقد ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني
لله ندا بل ما شاء الله وحده رواه احمد وابن ابي شيبة و
البخاري في الادب المفرد والنسائي وابن ماجه وقد تقدم
حكمه في باب فضل التوحيد وفيه بيان ان دعوة غير الله كفر
فيما لا يقدر عليه الا الله شرك جلي كطلب الشفاعة من الاموات
فانها ملك لله تعالى وبيده ليس بيد غيره منها شيء وهو الذي
ياذن للشفيع ان يشفع فيمن لاقى الله بالاخلاص والتوحيد من
اهل الكبائر كما ياتي تقريره في باب الشفاعة ان شاء الله
تعالى قال المص ولمسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا
دخل النار رواه البخاري قوله جابر هو ابن عبد الله بن عمرو بن
حرام بمهملتين الانصاري ثم السلمي بفتحتين صحابي جليل
له ولابيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما مات بالمدينة
بعد السبعين وقد كف بصره وله اربع وتسعون سنة
قوله من لقي الله لا يشرك به شيئا قال القرطبي اي لم يتخذ
معه شريكا في الالهية ولا في الخلق ولا في العبادة ومن المعلوم
في الشرع المجمع عليه عند اهل السنة ان من مات على ذلك فلا بد له
من دخول الجنة وان جرت عليه قبل ذلك انواع من العذاب
والمحن وان من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمه منهم
ويخلد في النار ابد الاباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم
آماد وقال النووي اما دخول المشرك النار فهو على عمومه

فيدخلها

فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابي واليهودي و
النصراني وبين عبدة الاوثان وسائر الكفرة ولا فرق
عند اهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف
ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده
وغير ذلك واما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له
به لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة
اولا وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت
المشيئة فان عفي عنه دخل الجنة اولا والا عذب في النار ثم
اخرج من النار وادخل الجنة وقال غيره اقتصر على نفي الشرك
لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة
باللزوم اذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ومن كذب الله
فهو مشرك وهو كقولك من توضا صحت صلاته اي مع سائر
الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الايمان
به اجمالا في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي انتهى قوله بلغ
باب الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله لما ذكر
المص رحمه الله التوحيد وفضله وما يوجب الخوف من ضده
نبه بهذه الترجمة على انه لا ينبغي لمن عرف ذلك ان يقتصر
على نفسه بل يجب عليه ان يدعو الى الله تعالى بالحكمة والموعظة
الحسنة كما هو سبيل المرسلين واتباعهم كما قال الحسن البصري
لما تلا هذه الاية ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين فقال هذا حبيب الله هذا
ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا احب اهل الارض
الى الله اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه
من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين

هذا خليفة الله ل... وقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني الآية قال ابن جرير يقول تعالى ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعو اليها و
الطريقة التي انا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص
العبادة له دون الالهة والاوثان والانتهاء الى طاعته وترك
معصيته سبيلي وطريقتي ودعوتي الى الله تعالى وحده لا شريك له
على بصيرة من ذلك ويقين علم مني به انا ويدعو اليه على بصيرة
ايضا من اتبعني وصدقني وآمن بي قوله وسبحان الله يقول
تعالى ذكره وقل تنزيها لله وتعظيما له من ان يكون له شريك في
ملكه او معبود سواه في سلطانه وما انا من المشركين يقول وانا
بريء من الشرك بل لست منهم ولا هم مني انتهى وقال في شرح (اهلها)
المنازل يريد ان تصل باستدلالك الى اعلى درجات العلم
وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها الى القلب كنسبة
المرئي الى البصر وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة
عن سائر الامة وهي اعلا درجات العلماء قال تعالى قل هذه
سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي انا و
اتباعي على بصيرة وقيل ومن اتبعني عطف على المرفوع في ادعو
اي انا ادعو الى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك يدعو الى الله تعالى
على بصيرة وعلى القولين فالآية تدل على ان اتباعه هم اهل البصائر
الداعين الى الله تعالى على بصيرة ومن ليس منهم فليس من اتباعه
على الحقيقة والموافقة وان كان من اتباعه على الانتساب
والدعوى قال المص رحمه الله تعالى فيه مسائل منها التنبيه على

الاخلاص

الاخلاص لان كثيرا لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه ومنها
ان البصيرة من الفرائض ومنها ان من دلائل حسن
التوحيد كونه تنزيها لله عن المسبة ومنها ان من قبح الشرك
كونه مسبة لله تعالى ومنها ابعاد المسلم عن المشركين لا يصير
منهم ولو لم يشرك انتهى وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
في معنى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية
ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة اقسام بحسب حال
المدعو فانه اما ان يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له على غيره فهذا (اذا عرفه)
يدعى بالحكمة ولا يحتاج الى موعظة وجدال واما ان يكون
مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج
الى الموعظة بالترغيب والترهيب واما ان يكون معاندا معارضا
فهذا يجادل بالتي هي احسن فان رجع والا انتقل معه الى
الجلاد ان امكن انتهى قال وعن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له الحديث قال الحافظ
كان بعث معاذ الى اليمن سنة عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم
كما ذكره المص يعني البخاري في اواخر المغازي وقيل كان ذلك في آخر
سنة تسع عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك رواه الواقدي
باسناده الى كعب بن مالك واخرجه ابن سعد في الطبقات
عنه واتفقوا على انه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة ابي بكر
ثم توجه الى الشام فمات بها قال شيخ الاسلام ومن فضائل معاذ
رضي الله عنه انه بعثه صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه ومفقها ومعلما (الى اليمن)
وحاكما قوله انك تاتي قوما من اهل الكتاب قال القرطبي يعني
بهم اليهود والنصارى لانهم كانوا في اليمن اكثر من مشركي

العرب او اغلب وانما نبه على هذا ليتهيا المناظر لهم وقال
الحافظ هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها قوله فليكن
اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله رفع على انه اسم شهادة صح
يكن مؤخر واول خبرها مقدم ويجوز العكس قوله وفي
رواية الى ان يوحدوا الله هذه الرواية ثابتة في كتاب
التوحيد من صحيح البخاري واشار المص بذكر هذه الرواية الى
التنبيه على معنى شهادة ان لا اله الا الله فان معناها توحيد
الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه وفي رواية فليكن اول ما تدعوهم
اليه عبادة الله وذلك هو الكفر بالطاغوت والايمان بالله كما
قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى والعروة الوثقى هي لا اله الا الله وفي رواية
للبخاري فقال ادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله قلت لا بد في شهادة ان لا اله الا الله من سبعة شروط
لا تنفع قائلها الا باجتماعها احدها العلم المنافي للجهل
الثاني اليقين المنافي للشك الثالث القبول المنافي للرد
الرابع الانقياد المنافي للترك الخامس الاخلاص المنافي
للشرك السادس الصدق المنافي للكذب السابع المحبة
المنافية لضدها وفيه دليل على ان التوحيد الذي هو اخلاص
العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه هو اول
واجب ولهذا كان اول ما دعت اليه الرسل عليهم السلام ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره وقال نوح عليه السلام ان لا تعبدوا الا الله
وفيه معنى لا اله الا الله مطابقة قال شيخ الاسلام وقد علم
بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الامة

ان اصل

ان اصل الاسلام واول ما يؤمر به الخلق شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فبذلك يصير الكافر مسلما والعدو
وليا والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال ثم ان كان من
قلبه فقد دخل في الايمان وان قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر
الاسلام دون باطن الايمان قال واما اذا لم يتكلم بها مع
القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا عند سلف
الامة وائمتها وجماهير العلماء انتهى قال المص رحمه الله وفيه
ان الانسان قد يكون عالما وهو لا يعرف معنى لا اله الا الله
او يعرفه ولا يعمل به قلت فما اكثر هؤلاء لا كثرهم الله تعالى قوله
فان هم اطاعوك لذلك اي شهدوا وانقادوا فاعلمهم
ان الله افترض عليهم خمس صلوات فيه ان الصلاة اعظم واجب
بعد الشهادتين قال النووي ما معناه انه يدل على ان المطالبة
بالفرائض في الدنيا لا تكون الا بعد الاسلام ولا يلزم من
ذلك ان لا يكونوا مخاطبين بها ويزاد في عذابهم بسببها
في الاخرة والصحيح ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة
المامور به والمنهي عنه وهذا قول الاكثرين انتهى قوله فاعلمهم
ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم
فيه دليل على ان الزكوة اوجب الاركان بعد الصلوة و
انها تؤخذ من الاغنياء وتصرف الى الفقراء وانما خص
النبي صلى الله عليه وسلم الفقراء لان حقهم في الزكوة آكد
من حق بقية الاصناف الثمانية وفيه ان الامام هو الذي
يتولى قبض الزكوة وصرفها اما بنفسه او نائبه فمن امتنع
من ادائها اليه اخذت منه قهرا وفي الحديث دليل على انه يكفي

ان لا اله ذلك صح

لكم صح

اخراج الزكوة في صنف واحد كما هو مذهب احمد ومالك
وفيه انه لا يجوز دفعها الى غني ولا الى كافر غير المؤلف
وان الزكوة واجبة في مال الصبي والمجنون كما هو قول
الجمهور لعموم الحديث قلت والفقير اذا افرد باللفظ تناول
المسكين او بالعكس كنظائره قرره شيخ الاسلام قوله
فاياك وكرائم اموالهم بنصب كرائم على التحذير جمع كريمة
قال صاحب المطالع هي جامعة الكمال الممكن في حقها من
غزارة لبن وجمال صورة او كثرة لحم وصوف ذكره النووي
قلت وهي خيار المال وانفسه واكثره ثمنا وفيه تحريم على
العامل في الزكوة اخذ كرائم المال ويحرم على صاحب المال
اخراج شرار المال بل يخرج الوسط فان طابت نفسه
بالكريمة جاز قوله واتق دعوة المظلوم اي اجعل بينك
وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم وهذان الامران
يقيان من رزقهما من جميع الشرور دنيا واخرى وفيه
تنبيه على التحذير من جميع انواع الظلم قوله فانه اي الشان
ليس بينها وبين الله حجاب هذه الجملة مفسرة لضمير الشان
اي فانها لا تحجب عن الله فيقبلها وفي الحديث ايضا قبول خبر
الواحد العدل ووجوب العمل به وبعث الامام العمال
لجباية الزكوة وانه يعظ عماله وولاته ويامرهم بتقوى الله
تعالى ويعلمهم وينهاهم عن الظلم ويعرفهم سوء عاقبته
والتنبيه على التعليم بالتدريج قاله المص قلت ويبدا بالاهم

فالاهم

واعلم انه لم يذكر في الحديث الصوم والحج فاشكل ذلك
على كثير من العلماء قال شيخ الاسلام اجاب بعض
الناس ان بعض الرواة اختصر الحديث وليس كذلك فان
هذا طعن في الرواة لان ذلك انما يقع في الحديث الواحد
مثل حديث وفد عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم
لم يذكره فاما الحديثان المنفصلان فليس الامر فيهما كذلك
ولكن عن ذلك جوابان احدهما ان ذلك بحسب نزول
الفرائض واول ما فرض الله الشهادتين ثم الصلوة فانه امر
بالصلوة في اول اوقات الوحي ولهذا لم يذكر وجوب
الحج كعامة الاحاديث انما جاء في الاحاديث المتاخرة الجواب
الثاني انه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض
التي يقاتل عليها كالصلاة والزكاة ويذكر تارة الصلاة
والصيام لمن لم يكن عليه زكاة ويذكر تارة الصلوة والزكوة
والصوم فاما ان يكون قبل فرض الحج واما ان يكون المخاطب
بذلك لا حج عليه واما الصلاة والزكوة فلهما شان ليس
لسائر الفرائض ولهذا ذكر تعالى في كتابه القتال عليهما
لانهما عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فانه امر باطن
من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما
يؤتمن عليه العبد فان الانسان يمكنه ان لا ينوي الصوم
وان ياكل سرا كما يمكنه ان يكتم حدثه وجنابته وهو صلى الله عليه وسلم
يذكر في الاعمال الظاهرة التي يقاتل الناس عليها ويصيرون
مسلمين بفعلها فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكوة دون

دون الصوم وان كان واجبا كما في ايتي براءة نزلت بعد
فرض الصيام باتفاق الناس وكذلك لما بعث معاذا الى
اليمن لم يذكر في حديثه الصوم لانه تبع وهو باطن ولا ذكر
الحج لان وجوبه خاص ليس بعام ولا يجب في العمر الا مرة انتهى
بمعناه قوله اخرجاه اي البخاري ومسلم واخرجه ايضا احمد
وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه قاله ولهما
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر
لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
يفتح الله على يديه الحديث قوله عن سهل بن سعد اي ابن مالك
بن خالد الانصاري الخزرجي الساعدي ابو العباس صحابي
شهير وابوه صحابي مات سنة ثمان وثمانين وقد
جاوز المائة قوله قال يوم خيبر وفي الصحيحين ايضا
عن سلمة بن الاكوع قال كان علي رضي الله عنه قد تخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمدا فقال
انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي رضي الله
عنه فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة
التي فتحها الله عز وجل في صباحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين
الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله او قال يحب الله ورسوله
يفتح الله على يديه فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا
هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح
الله على يديه قوله لاعطين الراية قال الحافظ في رواية

بريدة اني

٢٧

بريدة اني دافع اللواء الى رجل يحب الله ورسوله وقد صرح
جماعة من اهل اللغة بترادفهما لكن روى احمد والترمذي
من حديث ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء
ولواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي (عند ح)
عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله قوله
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فيه فضيلة عظيمة لعلي
رضي الله عنه قال شيخ الاسلام ليس هذا الوصف مختصا
بعلي ولا بالائمة فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله
ورسوله لكن هذا الحديث من احسن ما يحتج به على النواصب
الذين لا يتولونه او يكفرونه او يفسقونه كالخوارج لكن هذا
الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص
الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فان الخوارج تقول
في علي مثل ذلك لكن هذا باطل فان الله ورسوله لا يطلق مثل
هذا المدح على من يعلم انه يموت كافرا وفيه اثبات صفة
المحبة خلافا للجهمية قوله يفتح الله على يديه صريح في البشارة
بحصول الفتح فهو علم من اعلام النبوة قوله فبات الناس يدوكون
ليلتهم بنصب ليلتهم ويدوكون قال المص يخوضون اي فيمن
يدفعها اليه وفيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم
في العلم والايمان قوله ايهم يعطاها هو برفع اي على البناء
لاضافتها وحذف صدر صلتها قوله فلما اصبحوا غدوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها وفي رواية
ابي هريرة عند مسلم ان عمر قال ما احببت الامارة الا يومئذ
قال شيخ الاسلام ان في ذلك شهادة النبي صلى الله عليه وسلم

لعلي بايمانه باطنا وظاهرا واثبات لموالاته لله تعالى ورسوله ووجوب
موالات المؤمنين له واذا شهد النبي صلى الله عليه وسلم لمعين
بشهادة او دعى له احب كثير من الناس ان يكون له مثل تلك
الشهادة ومثل ذلك الدعاء وان كان النبي صلى الله عليه وسلم
يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير وهذا كالشهادة
بالجنة لثابت بن قيس وعبد الله بن سلام وان كان قد شهد
بالجنة لاخرين والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب في الخمر
قوله فقال اين علي بن ابي طالب فيه سؤال الامام عن رعيته
وتفقد احوالهم قوله فقيل هو يشتكي عينيه اي من الرمد كما
في صحيح مسلم عن سعد بن ابي وقاص فقال ادعوا لي عليا فاتي به
ارمد الحديث وفي نسخة صحيحة بخط المص فقيل هو يشتكي
عينيه قوله فارسل اليه مبني للفاعل وهو ضمير مستتر في الفعل
راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون مبنيا لما لم
يسم فاعله ولمسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني
الى علي فجئت به اقوده ارمد قوله فبصق بفتح الصاد اي تفل
قوله فدعا له فبرء هو بفتح الراء والهمزة اي عوفي في الحال عافية
كاملة كان لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر عند
الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي
صلى الله عليه وسلم الي الراية وفيه دليل على الشهادتين قوله فاعطاه
الراية قال المص رحمه الله تعالى فيه الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع
ومنعها عمن سعى وفيه ان فعل الاسباب المباحة او الواجبة
او المستحبة لا ينافي التوكل قوله وقال انفذ على رسلك
بضم الفاء اي امض ورسلك بكسر الراء وسكون السين
اي على رفقك من غير عجلة [illegible] وساحتهم فناء ارضهم

وهوما

وهو ما حولها وفيه الادب عند القتال وترك العجلة والطيش
والاصوات التي لا حاجة اليها وفيها امر الامام عماله بالرفق
من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة كما يشير اليه قوله حتى
تنزل بساحتهم قوله ثم ادعهم الى الاسلام اي الذي
هو معنى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وان شئت قلت الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وما اقتضته الشهادتان من اخلاص — عبده ورسوله صح
العبادة لله وحده واخلاص الطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم
ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله
صلى الله عليه وسلم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و
بينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى والاسلام هو الاستسلام
لله وهو الخضوع له والعبودية له كذا قال اهل اللغة وقال
رحمه الله تعالى ودين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله — بعبادته وحده صح
هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب والخضوع له وحده
دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها اخر لم يكن مسلما ومن
استكبر عن عبادته لم يكن مسلما وفي الاصل هو من باب
العمل عمل القلب والجوارح واما الايمان فاصله تصديق
القلب واقراره ومعرفته فهو من باب قول القلب
المتضمن عمل القلب انتهى فتبين ان اصل الاسلام هو التوحيد
ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين وهو الا
ستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فيما امرهم

بر على الس رسله كما قال تعالى عن اول رسول رسله ان اعبدوا الله و
اتقوه واطيعون وفيه مشروعية الدعوة قبل القتال لكن ان
كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم اولا لان النبي صلى
الله عليه وسلم اغار على بني المصطلق وهم غارون وان كانوا لم تبلغهم
الدعوة وجبت دعوتهم قوله واخبرهم بما يجب عليهم
من حق الله تعالى فيه اي في الاسلام اذا اجابوك اليه فاخبرهم
بما يجب من حقوقه التي لابد لهم من فعلها كالصلاة والزكوة
كما في حديث ابي هريرة فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم و
اموالهم الا بحقها ولما قال عمر لابي بكر في قتاله مانعي الزكوة
كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها قال ابو بكر فان الزكوة حق المال
والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها وفيه بعث الامام الدعاة الى الله كما كان
النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون يفعلون كما في المسند
عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته الا اني والله ما ارسل عمالي
اليكم ليضربوا ابشاركم ولا لياخذوا اموالكم ولكن ارسلهم
اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم قوله فوالله لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم ان مصدرية واللام قبلها مفتوحة
لانها لام القسم وان والفعل بعدها في تاويل مصدر رفع على
الابتدا والخبر خير وحمر بضم المهملة وسكون الميم والنعم
بفتح النون والعين المهملة اي خير لك من الابل الحمر وهي انفس
اموال العرب قال النووي وتشبيه امور الاخرة بامور الدنيا
انما هو للتقريب الى الافهام والا فذرة من الاخرة خير من الدنيا

باسرها

باسرها وامثالها معها وفيه فضيلة من اهتدى على يديه رجل
واحد وجواز الحلف على الفتيا والخبر ولو لم يستحلف

باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله بلغ

قلت هذا من عطف الدال على المدلول فان قيل قد
تقدم في اول الكتاب من الايات ما يبين معنى لا اله الا الله
وما تضمنته من التوحيد كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
وسابقها ولاحقها وكذلك ما ذكر في الابواب بعدها
فما فائدة هذه الترجمة قيل هذه الايات المذكورات في
هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الاخلاص
وما دلت عليه من توحيد العبادة وفيها الحجة على من تعلق
على الانبياء والصالحين يدعوهم ويسالهم لان ذلك
هو سبب نزول بعض هذه الايات كالاية الاولى قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه اكثر المفسرين على انها نزلت فيمن يعبد المسيح
وامه والعزير والملائكة وقد نهى الله عن ذلك اشد النهي
كما في هذه الاية من التهديد والوعيد على ذلك وهذا يدل على
ان دعوتهم من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد وشهادة مناوي
ان لا اله الا الله فان التوحيد ان لا يدعى الا الله وحده وكلمة
الاخلاص نفت هذا الشرك لان دعوة غير الله تاله وعبادة
له والدعاء مخ العبادة وفي هذه الاية ان المدعو لا يملك
لداعيه كشف ضر ولا تحويله من مكان الى مكان ولا من صفة
الى صفة ولو كان المدعو ملكا او نبيا وهذا يقرر بطلان
دعوة كل مدعو من دون الله لان دعوته تخونه داعيه احوج ما
كان اليها لانه اشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره
وهذه الاية تقرر التوحيد ومعنى لا اله الا الله وقوله

تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
يبين ان هذا سبيل الانبياء والمرسلين ومن تبعهم
من المؤمنين قال قتادة تقربوا اليه بطاعته والعمل بما
يرضيه وقال ابن زيد اولئك الذين تدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب قال العماد بن كثير وهذا
لا خلاف بين المفسرين فيه وذكر عن عدة من ائمة التفسير
قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الاية ذكر المقامات
الثلاث الحب وهو ابتغاء القرب اليه والتوسل اليه بالاعمال
الصالحة والرجاء والخوف وهذا هو التوحيد وهو حقيقة
دين الاسلام كما في المسند عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه قال والله يا رسول الله ما اتيتك الا بعد ما حلفت عدد
اصابعي هذه ان لا اتيك فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به
قال الاسلام قال وما الاسلام قال ان تسلم قلبك لله وان توجه
وجهك الى الله وان تصلي الصلوة المكتوبة وتؤدي الزكوة
المفروضة واخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن
معدان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للاسلام ضوءا ومنارا كمنار الطريق من ذلك ان
تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة
وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وهذا معنى قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور وقوله
واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي
فطرني فانه سيهدين الاية وجعلها كلمة باقية في عقبه اي لا اله

الا الله

الا الله فتدبر كيف عبر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة العظيمة
بمعناها الذي دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يعبد
من دون الله الموجودة في الخارج كالكواكب والهياكل والاصنام
التي صورها قوم نوح على صور الصالحين ود وسواع و
يغوث ويعوق ونسر وغيرها من الاوثان والانداد
التي كانت يعبدها المشركون باعيانها ولم يستثن من
جميع المعبودات الا الذي فطره وهو الله وحده لا شريك له
كما قال الله تعالى
فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الاخلاص مطابقة ذلك بان
الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل فكل عبادة
يقصد بها غير الله من دعاء وغيره فهي باطلة وهو الشرك الذي
لا يغفره الله قال تعالى وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل
الله الكافرين قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وفي الحديث الصحيح ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى هذه الاية على عدي بن حاتم
الطائي فقال يا رسول الله لسنا نعبدهم قال اليس يحلون لكم
ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما احل الله فتحرمونه قال بلى فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم فصار طاعتهم
في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم اربابا كما هو الواقع
في هذه الامة وهذا من الشرك الاكبر المنافي
للتوحيد الذي هو مدلول شهادة ان لا اله الا الله فتبين
بهذه الاية ان كلمة الاخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول
هذه الكلمة فاثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما اثبتته من
التوحيد وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا

يحبونهم كحب الله فكل من اتخذ ندا من دون الله يدعوه
ويرغب اليه ويرجوه لما يؤمله من قضاء حاجاته وتفريج
كرباته كحال عباد القبور والطواغيت والاصنام فلا بد ان
يعظموهم ويحبوهم لذلك فانهم احبوهم مع الله وان كانوا
يحبون الله تعالى ويقولون لا اله الا الله ويصلون ويصومون
فقد اشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره فاتخاذهم
الانداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه وكل عمل يعملونه
لان المشرك لا يقبل له عمل ولا يصح منه وهولاء وان قالوا لا
اله الا الله فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة العظيمة من العلم
بمدلولها لان المشرك جاهل بمعناها ومن جهله بمعناها جعله
لله شريكا في المحبة وغيرها وهذا هو الجهل المنافي للعلم
بما دلت عليه من الاخلاص ولم يكن صادقا في قولها لانه لم ينف
ما نفته من الشرك ولم يثبت ما اثبتته من الاخلاص وترك
اليقين ايضا لانه لو عرف بمعناها وما دلت عليه لانكره او شك
فيه ولم يقبله وهو الحق ولم يكفر بما يعبد من دون الله كما في الحديث
بل آمن بما يعبد من دون الله باتخاذه الند ومحبته له كما
قال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم اخلصوا له الحب فلم
يحبوا الا اياه ويحبون من احب ويخلصون اعمالهم جميعها
لله ويكفرون بما عبد من دونه فبهذا يتبين لمن وفقه الله
تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الايات العظيمة على معنى
شهادة ان لا اله الا الله وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي
دعت اليه جميع المرسلين فتدبر قال وقول الله تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب
الاية يتبين معنى هذه الاية بذكر ما قبلها وهي قوله تعالى

وعبادتهم من دون الله

قل ادعوا

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه من الانداد وارغبوا اليهم
فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم اي بالكلية ولا
تحويلا اي ولا يحولونه الى غيركم فان الذي يقدر على ذلك هو
الله وحده لا شريك له قال العوفي عن ابن عباس في الاية
كان اهل الشرك يقولون نحن نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا
وهم الذين يدعون وروى البخاري في الاية عن ابن مسعود قال
اناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا وفي رواية كان ناس
من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك
هولاء بدينهم وقول ابن مسعود هذا يدل على ان الوسيلة
هي الاسلام وهو كذلك على كلا القولين وقال السدي
عن ابي صالح عن ابن عباس في الاية قال عيسى وامه وعزير
وقال مغيرة عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الاية
هم عيسى وعزير والشمس والقمر وقال مجاهد عيسى وعزير
والملائكة وقوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه لا تتم العبادة
الا بالخوف والرجاء فكل داع دعاء عبادة او استغاثة لا
بد له من ذلك فاما ان يكون خائفا واما ان يكون راجيا
واما ان يجتمع فيه الوصفان قال شيخ الاسلام رحمه الله في
هذه الاية لما ذكر اقوال المفسرين وهذه الاقوال كلها حق
فان الاية تعم من كان معبوده عابدا لله سواء كان
من الملائكة او من الجن او من البشر والسلف في تفسيرهم
يذكرون جنس المراد بالاية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان
لمن ساله ما معنى الخبز فيريه رغيفا فيقول هذا فالاشارة
الى نوعه لا الى عينه وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون
نوع مع شمول الاية فالاية خطاب لكل من دعا من دون

ح من دونه زعمتم الذين ادعوا للمشركين قل تعالى يقول رحمه الله ابن كثير قال تحويلا ولا عنكم الضر كشف يملكون فلا

من دون الله مدعوًّا وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة
ويرجو رحمته ويخاف عذابه فكل من دعى ميتا او غائبا
من الانبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة او
غيرها فقد تناولته هذه الاية كما تتناول من دعى الملائكة و
الجن فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين انهم لا يملكون
كشف الضر عن الداعين ولا تحويله لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه
من موضع الى موضع كتغيير صفته او قدره ولهذا قال ولا تحويلا
فذكر نكرة تعم انواع التحويل فكل من دعى ميتا او غائبا من
الانبياء والصالحين او دعى الملائكة فقد دعى من لا يغيثه
ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله انتهى وفي هذه الاية رد
على من يدعو صالحا ويقول انا لا اشرك بالله الشرك عبادة
الاصنام قال —— وقوله واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني الاية قال ابن كثير يقول تعالى
مخبرا عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث
بعده من الانبياء الذي تنتسب اليه قريش في مذهبها انه تبرا
من ابيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه اي
هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه
من الاوثان وهي لا اله الا الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها
من هداه الله من ذرية ابرهيم عليه السلام لعلهم يرجعون
اي اليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة و
غيرهم في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
يعني لا اله الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وروى ابن جرير
عن قتادة

٤٢

عن قتادة انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني قال انهم
يقولون ان الله ربنا ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله فلم يبرا من ربه رواه عبد بن حميد وروى ابن جرير وابن
المنذر عن قتادة وجعلها كلمة باقية في عقبه قال الاخلاص
والتوحيد لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده قلت
فتبين ان معنى لا اله الا الله توحيد الله باخلاص العبادة له
والبراءة من كل ما سواه قال المصنف رحمه الله وذكر سبحانه
ان هذه البراءة وهذه الموالات هي شهادة ان لا اله الا الله
وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية
واذا تولاه امرؤ دون الورى ... طرا تولاه العظيم الشان
قال وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الاية
الاحبار العلماء والرهبان العباد وهذه الاية قد فسرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وذلك انه لما جاء مسلما
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليه هذه الاية قال فقلت
انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم
الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم رواه الترمذي وحسنه
وعبد بن حميد وابن ابي حاتم والطبراني من طرق قال السدي
استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما
يشركون فالحلال ما احله الله والحرام ما حرمه الله والدين ما شرعه
تعالى فظهر بهذا ان الاية دلت على ان من اطاع غير الله ورسوله
واعرض عن الاخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله او
تحريم ما احله الله واطاعه في معصية الله واتبعه فيما لم ياذن
به الله فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعله شريكا وذلك ينافي

عبادة ج بلغ

احمد ج

التوحيد الذي هو دين الاسلام الذي دلت عليه كلمة الاخلاص
لا اله الا الله فان الاله هو المعبود وقد سمى الله تعالى طاعتهم
عبادة لهم وسماهم اربابا كما قال تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا اي شركاء لله تعالى في العبادة ايامركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون فكل معبود رب وكل مطاع ومتبع على غير
ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع ربا ومعبودا كما
قال تعالى في آية الانعام وان اطعتموهم انكم لمشركون وهذا
وجه مطابقة الاية للترجمة ويشبه هذه الاية في المعنى قوله تعالى
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله والله اعلم
قال شيخ الاسلام في معنى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم الآية
اربابا من دون الله وهؤلاء الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم
حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله او تحريم ما احل الله يكون
على وجهين احدهما ان يعلموا انهم بدلوا دين الله فيتبعونهم
على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله
اتباعا لرؤسائهم مع علمهم انهم خالفوا دين الرسل فهذا
كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وان لم يكونوا يصلون
لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين
مع انه علم انه خلاف الدين واعتقد ما قال ذلك دون ما قاله الله
ورسوله مشركا مثل هؤلاء الثاني ان يكون اعتقادهم وايمانهم
بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكونهم اطاعوهم في معصية
الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد انها
معاصي فهؤلاء لهم حكم امثالهم من اهل الذنوب كما ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطاعة في المعروف ثم ذلك
المحرم للحلال والمحلل الحرام ان كان مجتهدا قصده اتباع الرسول
لكن خفي

لكن خفي عليه الحق في نفس الامر وقد اتقى الله ما استطاع
فهذا لا يؤاخذه الله بخطائه بل يثيبه على اجتهاده
الذي اطاع به ربه ولكن من علم ان هذا اخطأ فيما
جاء به الرسول ثم اتبعه على خطائه وعدل عن قول
الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لا
سيما ان اتبع في ذلك هواه ونصره باليد واللسان مع علمه
بانه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه
ولهذا اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد احد
في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال
وان كان عاجزا عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا
يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى
فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه وهؤلاء
كالنجاشي وغيره وقد انزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله
تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم و
ما انزل اليهم وقوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق الاية وقوله ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون واما ان كان المتبع
للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما
يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ
ان اخطأ كما في القبلة واما من قلد شخصا دون نظيره
بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان معه الحق
فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيبا لم يكن
عمله صالحا وان كان متبوعه مخطئا كان آثما كمن قال

في القرآن برايه فان اصاب فقد اخطا وان اخطا فليتبوأ مقعده
من النار وهؤلاء من جنس مانعي الزكاة الذي تقدم
فيه الوعيد ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة
فان ذلك لما احب مانعه من عبادة الله وطاعته صار عبدا له
وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك اصغر ولهم من الوعيد بحسب
ذلك وفي الحديث ان يسير الرياء شرك وهذا مبسوط عند
النصوص التي فيها اطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب
انتهى قال ابو جعفر بن جرير في معنى قوله و يجعلون له اندادا
اي و يجعلون لمن خلق ذلك الانداد وهم الاكفاء من الرجال
تطيعونهم في معاصي الله انتهى قال وقوله ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الاية قال العماد بن
كثير رحمه الله تعالى يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما
لهم في الاخرة حيث جعلوا لله اندادا اي امثالا ونظراء
يعبدونهم معه و يحبونهم كحبه وهو الله الذي لا اله الا هو ولا
ضد له ولا ند له ولا شريك معه وفي الصحيحين عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين آمنوا اشد
حبا لله ولحبهم لله تعالى وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم و لحبهم
لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه و
يلجأون في جميع امورهم عليه ثم توعد تعالى المشركين الظالمين
لانفسهم بذلك فقال تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة لله جميعا قال بعضهم تقديره الكلام لو

عاينوا

عاينوا جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه وان الله
شديد العذاب كما قال تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد
ولا يوثق وثاقه احد يقول لو علموا ما يعاينونه هناك
وما يحل بهم من الامر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم
لانتهوا عما هم فيه من الضلال ثم اخبر تعالى عن كفرهم
باوثانهم وتبري المتبوعين من التابعين فقال اذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا تبرأت منهم الملائكة الذين
كانوا يزعمون انهم كانوا يعبدونهم في الدنيا فتقول الملائكة
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ويقولون سبحانك انت
ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
والجن ايضا يتبرؤون منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم
كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب
له الى يوم القيامة الاية انتهى كلامه وروى بن جرير عن مجاهد
في قوله يحبونهم كحب الله مباهاة ومضاهاة للحق بالانداد
والذين آمنوا اشد حبا لله من الكفار لاوثانهم قال المصنف
رحمه الله تعالى ومن الامور المبينة لتفسير التوحيد وشهادة
ان لا اله الا الله اية البقرة في الكفار الذين قال الله تعالى فيهم وما هم
بخارجين من النار ذكر انهم يحبون اندادهم كحب الله فدل
على انهم يحبون الله حبا عظيما فلم يدخلهم في الاسلام
فكيف بمن احب الند حبا اكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب
الا الند وحده انتهى ففي الاية بيان ان من اشرك مع الله غيره
في المحبة فقد جعله شريكا لله في العبادة واتخذه ندا من دون
الله وان هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى

العذاب لعلموا حينئذ ان القوة لله جميعا اي ان الحكم له وحده لا شريك له وان

في اولئك وماهم بخارجين من النار وقوله ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب المراد بالظلم هنا الشرك كقوله تعالى ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم كما تقدم فمن احب الله وحده واحب فيه
وله فهو مخلص ومن احبه واحب معه غيره فهو مشرك كما قال تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون فكلمة الاخلاص لا اله
الا الله تنفي كل شرك في اي نوع كان من انواع العبادة وتثبت
العبادة بجميع افرادها لله تعالى وقد تقدم بيان ان الاله هو
المالوه الذي تالهه القلوب بالمحبة وغيرها من انواع العبادة
فلا اله الا الله نفت ذلك كله عن غير الله واثبتته لله وحده
فهذا هو ما دلت عليه كلمة الاخلاص مطابقة فلا بد
من معرفة معناها واعتقاده وقبوله والعمل به باطنا وظاهرا
والله اعلم قال ابن القيم رحمه الله تعالى فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد
محبوبه اي مع الله تعالى بعبادته له وتوحيد الحب ان لا يبقى في
قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب وان سمي عشقا فهو غاية
صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم الا
بان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان تكون محبته
لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى فلا يحب الا لله تعالى كما في الحديث
الصحيح ثلاث من كن فيه الحديث ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي من محبته ومحبة المرء ان كانت لله فهي من محبته وان كانت
لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها ويصدق هذه
المحبة بان تكون كراهيته لابغض الاشياء الى محبوبه وهو الكفر
بمنزلة كراهته لالقائه في النار او اشد ولا ريب ان هذا

من اعظم

من اعظم المحبة فان الانسان لا يقدم على محبة نفسه شيئا
فاذا قدم محبة الايمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر
والقائه في النار لاختار ان يلقى في النار ولا يكفر كان احب
اليه من نفسه وهذه المحبة فوق ما يجده العشاق المحبون
من محبة محبوبيهم بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت
به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال و
الولد وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والاجلال و
الطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا وهذا لا نظير له في محبة
مخلوق ولو كان المخلوق من كان ولهذا من شرك بين
الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركا شركا لا
يغفره الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله قال
الصحيح ان معنى الاية ان الذين آمنوا اشد حبا لله من اهل
الانداد لاندادهم كما تقدم ان محبة المؤمنين لربهم لا
يماثلها محبة مخلوق اصلا كما لا يماثل محبوبهم غيره وكل اذى
في محبة غيره فهو نعيم في محبته وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة
عين في محبته ومن ضرب لمحبته الامثال التي في محبة المخلوق
للمخلوق كالوصل والهجر والتجني بلا سبب من المحب وامثال
ذلك مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا فهو مخطئ اقبح الخطا و
افحشه وهو حقيق بالابعاد والمقت انتهى قال وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد
من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله قوله في
الصحيح اي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشجعي عن ابيه عن

النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وابو مالك اسمه سعد بن طارق
ابن اشيم كاحمر كوفي ثقة مات في حدود الاربعين ومائة
وابوه طارق بن اشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وزن احمر
ابن مسعود الاشجعي صحابي له احاديث قال مسلم لم يرو
عنه غير ابنه وفي مسند الامام احمد عن ابي مالك قال سمعت
يقول للقوم من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه
وحسابه على الله عز وجل رواه الامام احمد من طريق يزيد بن
هرون قال انبانا ابو مالك الاشجعي عن ابيه ورواه
الامام احمد عن عبد الله بن ادريس قال سمعت ابا مالك
قال قلت لابي الحديث رواية الحديث بهذا اللفظ يفسر
لا اله الا الله قوله من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من
دون الله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم علق عصمة المال و
الدم في هذا الحديث بامرين الاول قول لا اله الا الله عن علم
ويقين كما هو مقيد في قولها في غيرها حديث كما تقدم و
الثاني الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد
عن المعنى بل لا بد من قولها والعمل بها قلت وفيه معنى
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها قال المص رحمه الله تعالى وهذا من
اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله فانه لم يجعل التلفظ بها
عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا
الاقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له
بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من
دون الله فان شك او تردد لم يحرم ماله ودمه فيا لها من
مسالة ما اجلها ويا له من بيان ما اوضحه وحجة ما اقطعها

للمنازع

للمنازع انتهى قلت وهذا هو الشرط المصحح لقول لا اله الا
الله فلا يصح قولها بدون هذه الخمس التي ذكرها المص رحمه الله
تعالى اصلا قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله وقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الى قوله فان
تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم امر بقتالهم
حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا اعمالهم لله تعالى ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكاة فان ابوا عن ذلك او بعضه قوتلوا اجماعا وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله وهذان الحديثان تفسير للآيتين آية الانفال و
آية براءة وقد اجمع العلماء على ان من قال لا اله الا الله ولم
يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها انه يقاتل حتى يعمل بما دلت
عليه من النفي والاثبات قال ابو سليمان الخطابي رحمه الله
تعالى في قوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
معلوم ان المراد بهذا اهل عبادة الاوثان دون اهل الكتاب
لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم
السيف وقال القاضي عياض اختصاص عصمة المال و
النفس بمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان

وان المراد بذلك مشركو العرب واهل الاوثان فاما غيرهم
ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا اله الا الله اذا
كان يقولها في كفره انتهى ملخصا وقال النووي لا بد مع هذا
من الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء
في الرواية ويؤمنوا بي وبما جئت به وقال شيخ الاسلام لما
سئل عن قتال التتار فقال كل طائفة ممتنعة عن التزام
شرائع الاسلام الظاهرة من هؤلاء القوم او غيرهم فانه يجب
قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين
بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل ابو بكر و
الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى هذا اتفق الفقهاء
بعدهم قال فايما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات
او الصيام او عن الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال و
الخمر والميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام
جهاد الكفار او غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته
التي لا عذر لاحد في جحودها وتركها التي يكفر الواحد
بجحودها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت
مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء قال
وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون
عن الاسلام انتهى قوله وحسابهم على الله اي الله تبارك وتعالى
هو الذي يتولى حسابهم فان كان صادقا جازاه بجنات
النعيم وان كان منافقا عذبه العذاب الاليم واما في
الدنيا فالحكم على الظاهر فمن اتى بالتوحيد ولم يات بما
ينافيه ظاهرا والتزم شرائع الاسلام وجب الكف عنه

قلت وافاد

قلت وافاد الحديث ان الانسان قد يقول لا اله الا الله ولا يكفر
بما يعبد من دون الله ولم يات بما يعصم دمه وماله كما دل
على ذلك الايات المحكمات والاحاديث قوله وشرح هذه
الترجمة ما بعدها من الابواب فيه ما بين التوحيد
ويوضح معنى لا اله الا الله وفيه ايضا بيان اشياء كثيرة
من الشرك الاصغر والاكبر وما يوصل الى ذلك من الغلو
والبدع مما تركه من ضمن شهادة ان لا اله الا الله فمن عرف
ذلك وتحققه تبين له معنى لا اله الا الله وما دلت عليه من
الاخلاص ونفي الشرك وبضدها تتبين الاشياء
فبمعرفة نوع الاصغر من الشرك يعرف ما هو اعظم منه من الشرك
الاكبر المنافي للتوحيد واما الاصغر فانه انما ينافي كماله فمن
اجتنبه فهو الموحد حقا وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها
لتجتنب تعرف الغايات التي نهي عن الوسائل لاجلها
فان اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والاخلاص بل
يقتضيه وفيها ايضا من ادلة التوحيد اثبات الصفات
وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله فكلما يعرف بالله من صفات
كماله وادلة ربوبيته يدل على انه هو المعبود وحده وان
العبادة لا تصلح الا له وهذا هو التوحيد ومعنى شهادة
ان لا اله الا الله قوله باب من الشرك لبس الحلقة
والخيط ونحوهما لرفع البلاء او دفعه رفعه ازالته بعد نزوله
ودفعه منعه قبل نزوله قوله وقول الله تعالى قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره قال ابن كثير اي لا تستطيع شيئا من الامر
قل حسبي الله اي الله كافي من توكل عليه عليه يتوكل المتوكلون

المتوكلون كما قال هود عليه السلام حين قال قومه ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
ان ربي على صراط مستقيم قال مقاتل في معنى الآية فسالهم
النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا اي لانهم لا يعتقدون ذلك فيها
وانما كانوا يدعونها على معنى انها وسائط وشفعاء عند الله
لا على انهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر
فهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما قال تعالى ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون قلت فهذه الآية واشباهها تبطل تعلق
القلب بغير الله في جلب نفع او دفع ضر وان ذلك شرك
بالله وفي الآية بيان ان الله تعالى وسم اهل الشرك بدعوة
غير الله والرغبة اليه من دون الله والتوحيد ضد ذلك
وهو ان لا يدعو الا الله ولا يرغب الا اليه ولا يتوكل الا عليه وكذا
جميع انواع العبادة لا يصلح شيء منها لغير الله كما دل على
ذلك الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمتها
كما تقدم قال وعن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم
رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من
الواهنة قال انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا فانك
لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا رواه احمد بسند لا باس به
قال الامام احمد ثنا خلف بن الوليد ثنا المبارك عن الحسن
قال اخبرني عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم

البصر على

ابصر على عضد رجل حلقة قال اراه من صفر فقال ويحك
ما هذه قال من الواهنة قال اما انها لا تزيدك الا وهنا
انبذها عنك فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا رواه
ابن حبان في صحيحه فقال فان مت وكلت اليها والحاكم
وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي وقال الحاكم اكثر مشايخنا
على ان الحسن سمع من عمران وقوله في الاسناد اخبرني عمران يدل
على ذلك قوله عن عمران بن حصين اي ابن عبيد بن خلف
الخزاعي ابو نجيد بنون وجيم مصغر صحابي اسلم عام خيبر
ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة قوله رأى رجلا
في رواية الحاكم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
عضدي حلقة صفر فقال ما هذه الحديث فالمبهم في رواية احمد
هو عمران راوي الحديث قوله ما هذه يحتمل ان الاستفهام
للاستفصال عن سبب لبسها ويحتمل ان يكون للانكار
وهو الظاهر قوله من الواهنة قال ابو السعادات الواهنة عرق
ياخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها وقيل هو مرض في العضد
وهي تاخذ الرجال دون النساء وانما نهى عنها لانه انما اتخذها
على انها تعصمه من الالم وفيه اعتبار المقاصد قوله انزعها
فانها لا تزيدك الا وهنا النزع هو الجذب بقوة اخبر انها لا تنفعه
بل تضره وتزيده ضعفا وكذلك كل امر نهي عنه فانه لا ينفع
غالبا وان نفع بعضه فضرره اكبر من نفعه قوله فانك لو مت
وهي عليك ما افلحت ابدا لانه شرك والفلاح هو الفوز والظفر
السعادة قال المصنف رحمه الله تعالى فيه شاهد لكلام الصحابة ان

الشرك الاصغر اكبر من الكبائر وانه لم يعذر بالجهالة وفيه الانكار
بالتغليظ على من فعل مثل ذلك قوله رواه احمد بسند
لا باس به هو الامام احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد
بن ادريس بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن انس بن عوف بن
قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن
جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الامام
العالم ابو عبد الله الذهلي ثم الشيباني المروزي ثم البغدادي
خرج من مرو وهو حمل فولد ببغداد سنة اربع وستين ومائة
في شهر ربيع الاول وهو امام اهل عصره واعلمهم بالفقه والحديث
واشدهم ورعا ومتابعة للسنة وهو الذي يقول فيه بعض اهل السنة
عن الدنيا ما كان اصبره وبالماضين ما كان اشبهه اتته
الدنيا فاباها والشبه فنفاها وطلب احمد العلم سنة وفاة مالك
وهي سنة تسع وسبعين فسمع من هشيم وجرير بن عبد الحميد
وسفيان بن عيينة والمعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان
ومحمد بن ادريس الشافعي وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدي
وخلائق بمكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمن وغيرها
من البلاد رواه عنه ابناه صالح وعبد الله والبخاري ومسلم و
ابو داود وابراهيم الحربي وابو زرعة الرازي وابو زرعة الدمشقي
وعبد الله بن ابي الدنيا وابو بكر الاثرم وعثمان بن سعيد
الدارمي وابو القاسم البغوي وهو آخر من حدث عنه وخلائق
وروى عنه من شيوخه عبد الرحمن بن مهدي والاسود بن عامر
ومن اقرانه علي بن المديني ويحيى بن معين قال البخاري مرض

للبلتين

للبلتين خلتا من ربيع الاول ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة
خلت منه وقال حنبل مات يوم الجمعة في ربيع الاول سنة احدى
واربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة وقال ابنه عبد الله
والفضل بن زياد مات في ثاني عشر ربيع الاخر رحمه الله تعالى
قوله وله عن عقبة بن عامر مرفوعا من تعلق تميمة فلا اتم الله له
ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له وفي رواية من تعلق تميمة
فقد اشرك الحديث الاول رواه الامام احمد كما قال المص
ورواه ابو يعلى والحاكم وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي
وقوله وفي رواية اي من حديث اخر رواه احمد قال حدثنا
عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد
ابن منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل اليه رهط فبايع تسعة و
امسك عن واحد فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وامسكت
عن هذا فقال ان عليه تميمة فادخل يده فقطعها فبايعه
وقال من تعلق تميمة فقد اشرك رواه الحاكم بنحوه ورواته
ثقات قوله عن عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه
فاضل ولي امارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبا
من الستين قوله من تعلق تميمة اي علقها متعلقا بها قلبه
في طلب خير او دفع شر قال المنذري خرزة كانوا يعلقونها
يرون انها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلال اذ
لا مانع ولا دافع غير الله تعالى وقال ابو السعادات التمائم
جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم
يتقون بها العين في زعمهم فابطله الاسلام قوله فلا اتم
الله له دعاء عليه قوله ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له

ودعة بفتح الواو وسكون المهملة قال في مسند الفردوس شيء
يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين قوله فلا ودع
الله له بتخفيف الدال اي لاجعله في دعة وسكون قال ابو
السعادات وهذا دعاء عليه قوله وفي رواية من تعلق تميمة
فقد اشرك قال ابو السعادات انما جعلها شركا لانهم
ارادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الاذى
من غير الله الذي هو دافعه قال المصنف ولابن ابي حاتم عن حذيفة
انه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن ابي حاتم حدثنا
محمد بن الحسين بن ابرهيم بن اشكاب ثنا يونس بن محمد ثنا حماد
ابن سلمة عن عاصم الاحول عن عزرة قال دخل حذيفة على مريض
فرأى في عضده سيرا فقطعه او انتزعه ثم قال وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وابن ابي حاتم هو الامام ابو محمد
عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس الرازي التميمي الحنظلي
الحافظ صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرهما مات
سنة سبع وعشرين وثلثمائة وحذيفة هو ابن اليمان واسم
اليمان حسيل بمهملتين مصغر ويقال حسل بكسر ثم سكون
العبسي بالموحدة حليف الانصاري صحابي جليل من
السابقين ويقال له صاحب السر وابوه ايضا صحابي مات
حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين قوله رأى رجلا
في يده خيط من الحمى فقطعه اي من الحمى وكان الجهال يعلقون
التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى وروى وكيع عن حذيفة
انه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فاذا فيه خيط فقال
ما هذا

ما هذا قال شيء رقي لي فيه فقطعه وقال لو مت وهو عليك
ما صليت عليك وفيه انكار مثل هذا وان كان يعتقد
انه سبب فالاسباب لا يجوز منها الا ما اباحه الله ورسوله
مع عدم الاعتماد عليها واما التمائم والخيوط والحروز و
الطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب انكاره
وازالته بالقول والفعل وان لم ياذن فيه صاحبه قوله و
تلى قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون استدل
حذيفة رضي الله عنه بالاية بان هذا شرك ففيه صحة الاستدلال
على الشرك الاصغر بما انزل الله في الشرك الاكبر
لشمول الاية ودخوله في مسمى الشرك وتقدم معنى
هذه الاية عن بن عباس عن بن عباس وغيره والله اعلم
وفي هذه الاثار عن الصحابة ما يبين كمال علمهم
بالتوحيد وما ينافيه او ينافي كماله قوله

باب ما جاء في الرقى والتمائم اي من النهي وما

ورد عن السلف في ذلك قوله في الصحيح عن ابي بشير الا
انصاري رضي الله عنه انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره فارسل رسولا ان لا يبقين في رقبة
بعير قلادة من وتر او قلادة الا قطعت هذا الحديث
في الصحيحين قوله عن ابي بشير بفتح اوله وكسر المعجمة
قيل اسمه قيس بن عبيد قاله ابن سعد وقال ابن عبد البر لا
يوقف له على اسم وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد

صحيح

السنين ويقال انه جاوز المائة قوله في بعض اسفاره
قال الحافظ لم اقف على تعيينه قوله فارسل رسولا هو زيد بن
حارثة روى ذلك الحرث بن ابي اسامة في مسنده قاله الحافظ
قوله لا يبقين بالمثناة التحتية والقاف المفتوحتين
وقلادة مرفوع على انه فاعل والوتر بفتحتين واحد
اوتار القوس وكان اهل الجاهلية اذا اخلولق الوتر
ابدلوه وقلدوا به الدواب اعتقادا منهم انه يدفع عن بغير صح
الدابة العين قوله او قلادة الا قطعت معناه ان
الراوي شك هل قال شيخه قلادة من وتر او قال قلادة
واطلق ولا قيد ويؤيد الاول ما روي عن مالك انه
سئل عن القلادة فقال ما سمعت بكراهتها الا في الوتر
ولابي داود ولا قلادة بغير شك قال البغوي في
شرح السنة تاول مالك امره عليه السلام بقطع القلائد
على انه من اجل العين وذلك انهم كانوا يشدون تلك
الاوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ
يظنون انها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي صلى الله
عليه وسلم واعلمهم انها لا ترد من امر الله شيئا قال ابو عبيد كانوا عنها صح
يقلدون الابل الاوتار لئلا تصيبها العين فامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم بازالتها اعلاما لهم بان الاوتار لا
ترد شيئا وكذا قال ابن الجوزي وغيره قال الحافظ ويؤيده
حديث عقبة بن عامر رفعه من تعلق تميمة فلا اتم الله له
رواه ابو داود

رواه ابو داود وهي ما علق من القلائد خشية العين و
نحو ذلك انتهى قال المص وعن ابن مسعود سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة
شرك رواه احمد وابو داود وفيه قصة ولفظ ابي داود
عن زينب امراة عبد الله بن مسعود ان عبد الله راى في
عنقي خيطا فقال ما هذا قلت خيط رقي لي فيه قالت فاخذه
ثم قطعه ثم قال انتم آل عبد الله لاغنياء عن الشرك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم
والتولة شرك فقلت لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف
الى فلان اليهودي فاذا رقى سكنت فقال عبد الله انما
ذلك عمل الشيطان ينخسها بيده فاذا رقى كف عنها انما
كان يكفيك ان تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي
لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما رواه
ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح واقره الذهبي
قوله ان الرقى قال المص هي التي تسمى العزائم وخص منه
الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العين والحمة يشير الى ان الرقى الموصوفة
بكونها شركا هي التي يستعان فيها بغير الله واما اذا لم
يذكر فيها الا اسماء الله وصفاته وآياته والماثور
عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا حسن جائز او مستحب

قوله فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العين والحمة كما تقدم في باب من حقق التوحيد
وكذا رخص في الرقى من غيرهما كما في صحيح مسلم عن عوف
ابن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى
في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم تكن
شركا وفي الباب احاديث كثيرة قال الخطابي
وكان عليه السلام قد رقى ورُقي وامر بها واجازها
فاذا كانت بالقران وباسماء الله فهي مباحة او مامور بها
وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان
العرب فانه ربما كان كفرا او قولا يدخله الشرك
قلت من ذلك ما كان على مذهب الجاهلية التي يتعا
طونها وانها تدفع عنهم الافات ويعتقدون
ان ذلك من قبل الجن ومعونتهم وبنحو هذا ذكر
الخطابي وقال شيخ الاسلام كل اسم مجهول فليس لاحد
ان يرقي به فضلا عن ان يدعو به ولو عرف معناه لانه
يكره الدعاء بغير العربية وانما يرخص لمن لا يحسن
العربية فاما جعل الالفاظ العجمية شعارا فليس
من دين الاسلام وقال السيوطي قد اجمع العلماء
على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان
يكون بكلام الله او باسمائه وصفاته
وباللسان

وباللسان العربي وبما يعرف معناه وان يعتقد ان
الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى قوله والتمائم
قال المص شيء يعلق على الاولاد عن العين قال الخلخالي
التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق باعناق الصبيان من
خرزات وعظام لدفع العين وهذا منهي عنه لانه لا
دافع الا الله ولا يطلب دفع المؤذيات الا بالله و
باسمائه وصفاته قال المص لكن اذا كان المعلق
من القران فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم
يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود
اعلم ان العلماء من الصحابة والتابعين فمن
بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من
القران واسماء الله وصفاته فقالت طائفة يجوز
ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وهو ظاهر
ما روي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر واحمد
في رواية وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك وقالت
طائفة لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس
وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم
وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن مسعود
واحمد في رواية اختارها كثير من اصحابه وجزم بها
المتاخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه قلت

وهذا هو الصواب الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتامل
الاول عموم النهي ولا مخصص للعموم الثاني سد الذريعة
فانه يفضي الى تعليق ما ليس كذلك الثالث انه اذا علق
فلا بد ان يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة
والاستنجاء ونحو ذلك وتامل هذه الاحاديث وما
كان عليه السلف رضي الله تعالى عنهم يتبين لك بذلك
غربة الاسلام خصوصا ان عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير
بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور واتخاذ المساجد
عليها والاقبال عليها بالقلب والوجه وصرف جل الدعوات
والرغبات والرهبة وانواع العبادات التي هي حق الله
تعالى اليها من دونه كما قال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية
ونظائرها في القران اكثر من ان تحصر قوله و
التولة قال المص شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المراة
الى زوجها والرجل الى امراته وبهذا فسره ابن مسعود
راوي الحديث كما في صحيح ابن حبان والحاكم قالوا يا ابا عبد
الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة قال
شيء تصنعه النساء يتحببن به الى ازواجهن قال الحافظ
التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت

خ اليها

المراة

المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر والله اعلم
وكان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب
المنافع من غير الله تعالى قال وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا
من تعلق شيئا وكل اليه رواه احمد والترمذي ورواه
ابو داود والحاكم وعبد الله بن عكيم هو بضم المهملة
مصغرا ويكنى ابا معبد الجهني الكوفي قال البخاري ادرك
زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سماع صحيح وكذا
قال ابو حاتم قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن
في حياة حذيفة وكان ثقة ذكر ابن سعد عن غيره انه مات
في ولاية الحجاج قوله من تعلق شيئا وكل اليه اي وكله
الله الى ذلك الشيء الذي تعلقه فمن تعلق بالله وانزل
حوائجه به والتجأ اليه وفوض امره اليه كفاه وقرب اليه
كل بعيد ويسر له كل عسير ومن تعلق بغيره او سكن
الى رايه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وكله الله الى ذلك
وخذله وهذا معروف بالنصوص والتجارب قال الله تعالى
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الامام احمد ثنا هشام
ابن القسم ثنا ابو سعيد المؤدب ثنا من سمع عطا الخراساني
قال لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت
حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال
نعم اوحى الله تبارك وتعالى الى داود يا داود اما وعزتي وعظمتي

بيان حياة

التعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل ويكون بهما وكل الى

يا داود

لايعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي اعرف ذلك
من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون
السبع ومن فيهن الا جعلت له من بينهن مخرجا اما
وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق
دوني اعرف ذلك من نيته الا قطعت اسباب السماء
من يده واسخت الارض من تحت قدميه ثم لا ابالي باي
اودية هلك قال المص وروى الامام احمد عن
رويفع قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويفع
لعل الحيوة ستطول بك فاخبر الناس ان من عقد
لحيته او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة او عظم
فان محمدا بريء منه الحديث ورواه الامام احمد عن يحيى
ابن اسحاق والحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن
ابن لهيعة وفيه قصة اختصرها المص وهذا لفظ حسن
نا ابن لهيعة ثنا عياش بن عباس عن شييم بن
بيتان قال نا رويفع بن ثابت قال كان احدنا في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ جمل اخيه على ان
يعطيه النصف مما يغنم وله النصف حتى ان احدنا
ليصير له النصل والريش وللاخر القدح ثم قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث ثم رواه احمد عن يحيى بن
غيلان ثنا المفضل حدثني عياش بن عباس ان شييم
ابن بيتان

ابن بيتان خبره انه سمع شيبان القتباني قيل فيه مجهول
وابن لهيعة فيه مقال وبقية رجالهما ثقات قوله فاخبر
الناس دليل على وجوب اخبار الناس وليس هذا مختصا
برويفع بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج اليه
الناس وجب اعلامهم به فان اشترك هو وغيره في علم ذلك
فالتبليغ فرض كفاية قاله ابو زرعة في شرح سنن
ابي داود قوله لعل الحيوة ستطول بك فيه علم من اعلام
النبوة فان رويفعا طالت حياته الى سنة ست وخمسين
فمات ببرقة من اعمال مصر اميرا عليها وهو من
الانصار وقيل مات سنة ثلث وخمسين قوله ان
من عقد لحيته بكسر اللام لا غير والجمع لحى بالكسر والضم
قاله الجوهري قال الخطابي اما نهيه عن عقد اللحية فيفسر
على وجهين احدهما ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا
يعقدون لحاهم وذلك من زي بعض الاعاجم يفتلونها
ويعقدونها قال ابو السعادات تكبرا وعجبا
ثانيهما ان معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد وذلك
من افعال اهل التانيث قال ابو زرعة بن العراقي والاولى
حمله على عقد اللحية في الصلاة كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع
وفيه ان من عقد لحيته في الصلاة قوله او تقلد وترا اي
جعله قلادة في عنقه او عنق دابته وفي رواية محمد بن
الربيع او تقلد وترا يريد تميمة فاذا كان هذا في من
تقلد وترا فكيف بمن تعلق على الاموات وسالهم

الحديث [illegible] ابن لهيعة [illegible] في الاسناد [illegible] شيبان القتباني

وتفريج الكربات

قضاء الحاجات الذي جاء النهي عنه وتغليظه في الايات
المحكمات قوله او استنجى برجيع دابة او عظم فان محمدا
بري منه قال النووي بري من فعله وهذا خلاف الظاهر
والنووي كثيرا ما يتاول الاحاديث بصرفها عن ظاهرها فيغفر
الله تعالى له وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا
لا تستنجوا بالروث ولا العظام فانه زاد اخوانكم من الجن
وعليه لا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب احمد
لما روى ابن خزيمة والدارقطني عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى ان يستنجى بعظم او روث وقال انهما
لا يطهران قوله وعن سعيد بن جبير قال من قطع تميمة
من انسان كان كعدل رقبة رواه وكيع هذا عند
اهل العلم له حكم الرفع لان مثل ذلك لا يقال بالراي و
يكون هذا مرسلا لان سعيدا تابعي وفيه فضل قطع التمائم
لانها شرك ووكيع هو ابن الجراح ~~[illegible]~~ الكوفي ثقة ابو وكيع
امام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الامام
احمد وطبقته مات سنة سبع وتسعين ومئة قوله وله عن
ابرهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القران وغير
القران ه ابرهيم هو الامام ابرهيم بن يزيد النخعي الكوفي
يكنى ابا عمران ثقة من كبار الفقهاء قال المزي دخل على عائشة
ولم يثبت له سماع منها مات سنة ست وتسعين وله خمسون
سنة او نحوها قوله كانوا يكرهون التمائم الخ مراده بذلك
اصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والاسود وابي وائل

والحرث

٥٥

والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن
خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم من سادات التابعين وهم
وهذه الصيغة يستعملها ابرهيم في حكاية اقوالهم
كما بين ذلك الحفاظ كالعراقي وغيره قوله باب بلغ
من تبرك بشجرة او حجر ونحوهما كبقعة وقبر ونحو ذلك
اي فهو مشرك قوله وقول الله تعالى افرءيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الايات وكانت اللات لثقيف
والعزى لقريش وبني كنانة ومناة لبني هلال وقال ابن
هشام كانت لهذيل وخزاعة فاما اللات فقرا الجمهور بتخفيف
التاء وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد و
ابو صالح وورش عن يعقوب بتشديد التاء فعلى الاولى
قال الاعمش سموا اللات من الاله والعزى من العزيز قال ابن
جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى فقالوا اللات
مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال وكذا العزى
من العزيز وقال ابن كثير اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة
عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم
عند اهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عاداهم
من احياء العرب بعد قريش قال ابن هشام فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار وعلى الكاتبة
قال ابن عباس كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قال ابن عباس رضي
قبره ذكره البخاري كان يبيع السويق والسمن عند صخرة و
يسلو عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة
اعظاما لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال فلما مات

عبد ود رواه سعيد بن منصور وكذا روى بن ابي حاتم
عن بن عباس انهم عبد وه وبنحو هذا قال جماعة من
اهل العلم قلت لا منافاة بين القولين فانهم عبدوا الصخرة
والقبر تالها وتعظيما ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور
واتخذت اوثانا وفيه بيان ان اهل الجاهلية كانوا يعبدون
الصالحين والاصنام واما العزى فقال بن جرير كانت شجرة
عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش
يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى
النسائي وبن مردويه عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى
وكانت على ثلث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان
عليها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ارجع فانك
لم تصنع شيئا فرجع خالد فلما ابصرته السدنة امعنوا في الجبل
وهم يقولون يا عزى يا عزى فاتاها خالد فاذا امراة عريانة
ناشرة شعرها تحفن التراب على راسها فعممها بالسيف فقتلها ثم
رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى قال ابو
صالح كانوا يعلقون عليها السيور والعهن رواه عبد بن حميد وبن
جرير قلت وكل هذا وما هو اعظم منه يقع في هذه الازمنة عند
ضرائح الاموات وفي المشاهد واما مناة فكانت بالمشلل عند قديد
بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج يعظمونها
ويهلون منها للحج واصل اشتقاقها من اسم الله المنان وقيل لكثرة
ما يمنى اي يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال البخاري رحمه الله

تعالى في حديث

تعالى في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها انها صنم بين
مكة والمدينة قال بن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا فهدمها عام الفتح فمعنى الاية كما قال القرطبي ان فيها حذفا
تقديره افرايتم هذه الالهة انفعت او ضرت حتى تكون شركاء لله
وقوله الكم الذكر وله الانثى قال بن كثير اتجعلون له ولدا و
تجعلون ولده انثى وتختارون لكم الذكور قوله تلك اذا قسمة ضيزى
اي جور وباطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو
كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها فتنزهون انفسكم عن
الاناث وتجعلونهن لله تعالى وقوله ان هي الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم اي من تلقاء انفسكم ما انزل الله بها من سلطان اي
من حجة ان يتبعون الا الظن اي ليس لهم مستند الا حسن ظنهم
بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم قوله ولقد
جاءهم من ربهم الهدى قال بن كثير ولقد ارسل الله تعالى اليهم
الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم
به ولا انقادوا له ومطابقة الاية للترجمة من جهة ان عباد
الاوثان انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها
ودعائها والاستعانة بها ويؤملون ببركتها وشفاعتها وغير
ذلك فالتبرك بقبور الصالحين كاللات وبالاشجار والاحجار
كالعزى ومناة من فعل جملة اولئك المشركين مع تلك
الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر او حجر او شجر
فقد ضاهى عباد تلك الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا
الشرك على ان الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم
اعظم مما وقع من اولئك فالله المستعان قوله عن ابي واقد
الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين

والاعتماد عليها في حصول ما يقصدونه منها

ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون
عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط الحديث
ابو واقد اسمه الحرث بن عوف وفي الباب عن ابي سعيد وابي
هريرة قاله الترمذي وقد رواه احمد وابو يعلى وابن ابي شيبة
والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني
بنحوه قوله عن ابي واقد تقدم اسمه في قول الترمذي وهو صحابي
مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة قوله
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وفي حديث عمرو بن
عوف وهو عند ابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني قال غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ونحن الف ونيف حتى
اذا كنا بين حنين والطائف الحديث قوله ونحن حدثاء عهد بكفر
اي قريب عهدنا بالكفر ففيه دليل على ان غيرهم ممن تقدم اسلامه
من الصحابة لا يجهل هذا وان المنتقل من الباطل الذي اعتاده
قلبه لا يامن ان يكون في قلبه بقية من تلك العادة ذكره المص
قوله وللمشركين سدرة يعكفون عندها العكوف هو الاقامة
على الشيء في المكان ومنه قول الخليل ما هذه التماثيل التي انتم
لها عاكفون وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بها
وتعظيما لها وفي حديث عمرو وكانوا يناطون بها السلاح فسميت
ذات انواط وكانت تعبد من دون الله قوله ينوطون بها
اسلحتهم اي يعلقونها عليها للبركة قلت ففي هذا بيان ان
عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الامور
الثلاثة عبدت الاشجار ونحوها قوله فقلنا يا رسول الله اجعل
لنا ذات انواط قال ابو السعادات سالوه ان يجعل لهم

مثلها

مثلها فنهاهم عن ذلك وانواط جمع نوط وهي مصدر سمي به
المنوط ظنوا ان هذا امر محبوب عند الله وقصدوا التقرب
به والا فهم اجل قدرا من ان يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر وفي رواية سبحان الله والمراد
تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن هذا الشرك باي نوع كان مما
لا يجوز ان يطلب ويقصد به غير الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له
اذا سمع من احد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية والالهية
قوله انها السنن بضم السين اي الطرق قوله قلتم والذي نفسي
بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة شبه مقالتهم
هذه بمقالة بني اسرائيل بجامع ان كلا طلب ان يجعل له
ما يالهه ويعبده من دون الله وان اختلف اللفظان
فالمعنى واحد فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة ففيه الخوف
من الشرك وان الانسان قد يستحسن شيئا يظن انه يقربه
الى الله وهو ابعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ولا يعرف
هذا على الحقيقة الا من عرف ما وقع في هذه الازمان
من كثير من العلماء والعباد مع ارباب القبور من الغلو فيها
وصرف جل العبادة لها يحسبون انهم على شيء وهو الذنب
الذي لا يغفره الله قال الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
الشافعي المعروف بابي شامة في كتاب البدع والحوادث
ومن هذا القسم ايضا ما قد عم الابتلاء به من تزيين
الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع

مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ انه رءى في منامه بها احدا
ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه
مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم متقربون
بذلك ثم يتجاوزون هذا الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في
قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم
بالنذر لها وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر وفي مدينة
دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب
توما والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة خارج
باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها
من اصلها فما اشبهها بذات انواط الواردة في الحديث انتهى وذكر
ابن القيم رحمه الله تعالى نحو ما ذكره ابو شامة ثم قال فما اسرع اهل
الشرك الى اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت
ويقولون ان هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل
النذر اي تقبل العبادة من دون الله فان النذر عبادة وقربة
يتقرب بها الناذر الى المنذور له وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب
عند قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي هذه الجملة من الفوائد
ان ما يفعله من يعتقد في الاشجار والقبور والاحجار من
التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولا يغتر
بالعوام والطغام ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في
هذه الامة فاذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا
وطلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين لهم ان ذلك كقول
بني اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكيف لا يخفى على من هو دونهم

في العلم

في العلم والفضل باضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد
العهد بآثار النبوة بل خفي عليهم عظائم الشرك في الالهية والربوبية
فاكثروا فعله واتخذوه قربة وفيها ان الاعتبار في الاحكام
بالمعاني لا بالاسماء ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم
كطلبة بني اسرائيل ولم يلتفت الى كونهم سموها ذات انواط فالمشرك
مشرك وان سمى شركه ما سماه وقس على ذلك قوله لتركبن سنن
من كان قبلكم بضم الموحدة وضم السين اي طرقهم ومناهجهم وقد
يجوز فتح السين على الافراد اي طريقهم وهذا خبر صحيح والواقع
من كثير من هذه الامة يشهد له وفيه علم من اعلام النبوة من حيث انه
وقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم وفي الحديث النهي عن التشبه باهل الجاهلية واهل
الكتاب فيما كانوا يفعلونه الا ما دل الدليل على انه من شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم قاله المصنف وفيه التنبيه على مسائل القبر اما من ربك
فواضح واما من نبيك فمن اخباره بانباء الغيب واما ما دينك فمن
قولهم اجعل لنا الها الخ وفيه ان الشرك لا بد ان يقع في هذه الامة
خلافا لمن ادعى ذلك وفيه الغضب عند التعليم وان ما ذم الله به اليهود
والنصارى فانه لنا لنحذره قاله المصنف واما ما ادعاه بعض
المتأخرين من انه يجوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه
منها ان السابقين الاولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون
ذلك مع غير النبي صلى الله عليه وسلم لا في حياته ولا بعد مماته ولو كان خيرا لسبقونا
اليه وافضل الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وقد شهد لهم النبي
صلى الله عليه وسلم فيمن شهد له بالجنة وما فعله احد من الصحابة والتابعين
مع احد من هؤلاء السادة ولا فعله التابعون مع سادتهم في العلم

خلافهم

[illegible]

والدين وهم الاسوة فلا يجوز ان يقاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد
من الامة وللنبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته خصائص كثيرة
لا يصلح ان يشاركه فيها غيره ومنها ان في المنع من ذلك سدا لذريعة الشرك
كما لا يخفى قوله باب ما جاء في الذبح لغير الله اي من
الوعيد وانه شرك بالله قوله وقول الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الاية قال ابن كثير
يامره تعالى ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون
لغيره انه اخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون
الاصنام ويذبحون لها فامره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم
فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى
قال مجاهد النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن
السدي عن سعيد بن جبير ونسكي ذبحي وكذا قال الضحاك وقال
غيره ومحياي ومماتي اي ما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان
والعمل الصالح لله رب العالمين خالصا لوجهه لا شريك له وبذلك
الاخلاص امرت وانا اول المسلمين اي من هذه الامة قال ابن كثير
وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كانت دعوتهم الى الاسلام وهو
عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وذكر آيات في هذا المعنى
ووجه مطابقة الاية للترجمة ان الله تعالى تعبد عباده بان يتقربوا
اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من انواع العبادة
فان الله تعالى امرهم ان يخلصوا جميع انواع العبادة له دون كل ما

خ اموت عليه

الدين الاسلام في كل [illegible]

سواء

سواء فاذا تقرب الى غير الله بالذبح او غيره من انواع العبادة فقد
جعل لله شريكا في عبادته وهو ظاهر في قوله لا شريك له نفى ان
يكون لله تعالى شريكا في هذه العبادات وهو بحمد الله واضح
قوله فصل لربك وانحر قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى امره ان يجمع
بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب
والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمانينة
القلب الى الله والى عدته عكس حال اهل الكبر والنفرة واهل الغنى
عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم والذين لا ينحرون
له خوفا من الفقر ولهذا جمع بينهما في قوله قل ان صلاتي ونسكي الاية
والنسك الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه فانهما اجل ما يتقرب به الى الله تعالى
فانه اتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك سبب للقيام بشكر
ما اعطاه الله تعالى من الكوثر واجل العبادات ~~البدنية~~ البدنية الصلاة
واجل العبادات المالية النحر وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له
في غيرها كما عرفه ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر اذا قارنه
الايمان والاخلاص من قوة اليقين وحسن الظن امر عجيب
وكان صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير النحر انتهى قلت وقد
تضمنت الصلاة من انواع العبادة كثيرا فمن ذلك الدعاء
والتكبير والتسبيح والقراءة والتسميع والثناء والقيام
والركوع والسجود والاعتدال واقامة الوجه لله تعالى والاقبال
عليه بالقلب وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة وكل هذه الامور
من انواع العبادة التي لا يجوز ان يصرف منها شيء لغير الله
وكذلك النسك يتضمن امورا من العبادة كما تقدم في كلام
شيخ الاسلام قوله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال

حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله
لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير
منار الارض رواه مسلم من قصة طرق وغير قصة ورواه الامام احمد
كذلك عن ابي الطفيل قال قلنا لعلي اخبرنا بشيء اسره اليك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما اسر الي شيئا كتمه الناس ولكن سمعته يقول لعن
الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من لعن
والديه ولعن الله من غير تخوم الارض يعني المنار وعلي بن ابي
طالب هو الامام امير المؤمنين ابو الحسنين الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم
وزوج ابنته فاطمة الزهراء كان من اسبق السابقين الاولين
ومن اهل بدر وبيعة الرضوان واحد العشرة المشهود لهم بالجنة
ورابع الخلفاء الراشدين ومناقبه مشهورة رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي
في رمضان سنة اربعين قوله لعن الله اللعنة البعد عن مظان
الرحمة ومواطنها وقيل واللعين والملعون من حقت عليه
اللعنة او دعي عليه بها قال ابو السعادات اصل اللعن الطرد
والابعاد قال شيخ الاسلام ما معناه ان الله تعالى يلعن من
استحق اللعنة بالقول كما يصلي سبحانه على من استحق الصلاة
من عباده قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الى قوله تحيتهم
يوم يلقونه سلام وقال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا
الى قوله ملعونين والقرآن كلامه تعالى اوحاه الى جبريل عليه
السلام وبلغه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وجبريل سمعه منه كما
سيأتي في الصلوة ان شاء الله تعالى كما تقدم ومن الخلق السب
والدعاء فالله تعالى هو المصلي وهو المثيب كما دل على ذلك الكتاب
والسنة وعليه سلف الامة قال الامام احمد رحمه الله تعالى لم يزل الله

متكلما

متكلما اذا شاء قوله من ذبح لغير الله قال شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى في قوله تعالى وما اهل به لغير الله ظاهره انه ما
ذبح لغير الله سواء لفظ به او لم يلفظ وتحريم هذا اظهر من تحريم ما
ذبحه للحم وقال فيه بسم المسيح او نحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به
الى الله كان ازكى واعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله
فاذا حرم ما قيل فيه بسم المسيح او الزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لاجل
المسيح او الزهرة او قصد به ذلك اولى فان العبادة لغير الله
متقربا اليه تحرم وان قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي
هذه الامة الذين يتقربون الى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك
وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة
مانعان الاول انه مما اهل به لغير الله والثاني انها ذبيحة مرتد
ومن هذا الباب ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ولهذا
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبائح الجن انتهى قال الزمخشري كانوا
اذا اشتروا دارا او بنوها او استخرجوا عينا ذبحوا ذبيحة خوفا من
ان تصيبهم الجن فاضيفت اليهم الذبائح لذلك وذكر ابراهيم المروزي
ان ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه
لانه مما اهل به لغير الله قوله لعن الله من لعن والديه يعني اباه وامه وان علا
وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول
الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه
فيسب امه قوله لعن الله من آوى محدثا آوى بفتح الهمزة ممدودة اي ضمه اليه
وحماه ان يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه قال ابو السعادات يروى
بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول اويت الى المنزل وآويت غيري
وأويته وانكر بعضهم المقصور المتعدي وقال الازهري هي لغة فصيحة
واما محدثا فقال ابو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل و

المفعول فمعنى الكسر من نصر جانيا وآواه واجاره من خصمه
وحال بينه وبين ان يقتص منه والفتح هو الامر المبتدع نفسه
ويكون معنى الايواء فيه الرضى به والصبر عليه فانه اذا رضي
بالبدعة واقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه قال ابن القيم
رحمه الله تعالى هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث
بنفسه فكلما كان الحدث في نفسه اكبر كانت الكبيرة اعظم قوله
ولعن الله من غير منار الارض بفتح الميم علامات حدودها قال في النهاية
اي معالمها وحدودها واحدها تخم قيل اراد حدود الحرم خاصة وقيل
هو عام في جميع الارض واراد بالمعالم التي يهتدى بها في الطريق
وقيل هو ان يدخل الرجل في ملك غيره فيقطعه ظلما قال ويروى
تخوم بفتح التاء على الافراد وجمعه تخم بضم التاء والخاء انتهى
تغييرها ان يقدمها او يؤخرها فيكون هذا من ظلم الارض الذي
قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من الارض طوقه
يوم القيامة من سبع ارضين ففيه جواز لعن اهل الظلم من غير تعيين
واما لعن الفاسق المعين ففيه قولان احدهما انه جائز اختاره
ابن الجوزي وغيره والثاني لا يجوز اختاره ابو بكر عبد العزيز
وشيخ الاسلام وقال النووي رحمه الله تعالى واتفق العلماء على
تحريم اللعن فانه في اللغة الابعاد والطرد وفي الشرع الابعاد من
رحمة الله فلا يجوز ان يبعد من رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمة
امره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن احد بعينه مسلما كان
او كافرا او دابة الا من علمنا بنص شرعي انه مات على الكفر او يموت عليه
كابي جهل وابليس واما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة
والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وآكل الربو وموكله والمصورين

والظالمين

والظالمين والكافرين والفاسقين ولعن من غير منار الارض
ومن تولى غير مواليه ومن انتسب الى غير ابيه ومن احدث
في الاسلام حدثا او آوى محدثا وغير ذلك مما جاءت النصوص
الشرعية باطلاقه على الاوصاف لا على الاعيان والله اعلم
قوله عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخل
الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب الحديث
قال ابن القيم رحمه الله تعالى قال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش
عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال دخل الجنة رجل
في ذباب الحديث وطارق بن شهاب البجلي الاحمسي ابو عبد الله رأى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو رجل قال البغوي نزل الكوفة وقال ابو داود
رأى النبي صلعم ولم يسمع منه شيئا قال الحافظ اذا ثبت انه لقي
النبي صلعم فهو صحابي واذا ثبت انه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي
وهو مقبول على الراجح وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان
سنة ثلاث وثمانين قوله دخل الجنة رجل في ذباب اي من
اجله قوله قالوا وكيف ذلك يا رسول الله كانهم تقالوا ذلك
وتعجبوا منه فبين لهم النبي صلعم ما صير هذا الامر الحقير عندهم عظيما
يستحق هذا عليه الجنة ويستوجب هذا عليه النار قوله فقال مر
رجلان على قوم لهم صنم الصنم ما كان منحوتا على صورة ويطلق عليه
وثنا كما هو قوله لا يجاوزه اي لا يمر به ولا يتعداه احد حتى
يقرب اليه شيئا وان قل قوله قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا
فخلوا سبيله فدخل النار في هذا بيان عظمة الشرك ولو في

شيء قليل وانه يوجب النار كما قال تعالى انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وفيه في هذا الكلام الحديث الحذر
من الوقوع في الشرك وان الانسان قد يقع فيه وهو لا يدري
انه من الشرك الذي يوجب النار وفيه انه دخل النار بسبب
لم يقصده وانما فعله تخلصا من شرهم وفيه انه دخل النار بسبب ان ابتداءكم
ذلك الرجل كان مسلما قبل ذلك والا فلو لم يكن مسلما لم يدخل
النار في ذباب وفيه ان عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى
عند عبدة الاوثان ذكره المص بمعناه قوله وقالوا للاخر
قرب قال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل ففيه بيان
فضيلة التوحيد والاخلاص لله وفيه معرفة قدر الشرك في
قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم مع كونهم لم يطلبوا منه الا على طلبتهم
العمل الظاهر باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله بلغ
تعالى لا نافية ويحتمل انها للنهي وهو اظهر قوله وقول الله تعالى لا تقم
فيه ابدا الاية قال المفسرون ان الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة
في مسجد الضرار والامة تبع له في ذلك ثم انه تعالى حثه على الصلاة
في مسجد قبا الذي اسس من اول يوم بني على التقوى وهي طاعة
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا
وموئلا للاسلام واهله ولهذا جاء في الحديث الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يزور قباء راكبا وماشيا وقد صرح ان المسجد المذكور في
الاية هو مسجد قباء جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة وعطية
والشعبي والحسن وغيرهم قلت ويؤيده قوله فيه رجال يحبون

ان يتطهروا

ان يتطهروا الاية وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث
ابي سعيد قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى من
اول يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال الاخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا رواه مسلم وهو قول عمر
وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم وقال وهذا صحيح ولا منافاة بين الاية و
الحديث لانه اذا كان مسجد قبا قد اسس على التقوى من اول يوم فمسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي اسس
على معصية الله كما قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فلهذه الامور نهى الله نبيه عن
القيام فيه للصلاة وكان الذين بنوه جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى
غزوة تبوك فسالوه ان يصلي فيه وانهم انما بنوه للضعفاء واهل العلة في الليلة
الشاتية فقال انا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله فلما قفل عليه السلام
راجعا الى المدينة ولم يبق بينه وبينها الا يوم او بعضه نزل الوحي
بخبر المسجد فبعث اليه فهدمه قبل قدومه الى المدينة ووجه مناسبة
الاية للترجمة ان المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح
فيها لله كما ان هذا المسجد لما اعد للمعصية صار محل غضب لاجل ذلك
فلا تجوز الصلاة فيه لله وهذا قياس صحيح يؤيده حديث ثابت بن الضحاك
الاتي قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا وروى الامام احمد وابن خزيمة
وغيرهما عن عويم بن ساعدة الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم في مسجد قبا
فقال ان الله قد احسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم فما هذا
الطهور الذي تطهرون به فقالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا
جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا
كما غسلوا وفي رواية عن جابر وانس هو ذاك فعليكموه رواه ابن ماجه

وابن ابي حاتم والدارقطني والحاكم قوله والله يحب المطهرين قال ابو
العالية ان الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب وفيه
اثبات صفة المحبة خلافا للاشاعرة ونحوهم وعن ثابت بن الضحاك قال نذر
رجل ان ينحر ابلا ببوانة فسال النبي صلعم فذكر الحديث رواه ابو داود واسناده
على شرطهما قوله عن ثابت بن الضحاك اي ابن خليفة الاشهلي صحابي مشهور
روى عنه ابو قلابة وغيره مات سنة اربع وستين قوله ببوانة بضم الباء
وقيل بفتحها قال البغوي موضع في اسفل مكة دون يلملم قال ابو السعادات
هضبة من وراء ينبع قوله فهل كان فيها وثن من الجاهلية يعبد فيه المنع من
الوفاء بالنذر اذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله قاله المصنف رحمه الله تعالى قوله فهل
كان فيها عيد من اعيادهم قال شيخ الاسلام العيد اسم لما يعود من الاجتماع
العام على وجه معتاد عائدا اما بعود السنة او بعود الاسبوع او الشهر ونحو
والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع الجاهلية فالعيد يجمع امورا منها يوم عائد
كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ومنها اعمال تتبع ذلك من العبادات
والعادات وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل من هذه
الامور قد يسمى عيدا فالزمان كقول النبي صلعم في يوم الجمعة ان هذا يوم
جعله الله للمسلمين عيدا والاجتماع والاعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمكان كقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا
وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله عليه وسلم
دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا انتهى قال المصنف وفيه استفصال المفتي والمنع من
الوفا بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله قلت وفيه سد الذريعة وترك
مشابهة المشركين والمنع مما هو وسيلة الى ذلك قوله فاوف بنذرك هذا
يدل على ان الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله او في محل
اعيادهم معصية لان قوله فاوف بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بالفاء وذلك
يدل على ان الوصف سبب الحكم فيكون سبب الامر بالوفاء خلوه عن هذين
الوصفين فلما قالوا لا قال اوف بنذرك وهذا يقتضي ان كون البقعة مكانا

لعيدهم

لعيدهم او بها وثن من اوثانهم مانع من الذبح بها ولو نذره قاله شيخ الاسلام
قوله فانه لا وفاء لنذر في معصية الله دليل على ان هذا النذر معصية لو وجد
في المكان بعض الموانع وما كان من نذر المعصية فلا يجوز العمل به
الوفا به باجماع العلماء واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين على قولين هما روايتان
عن احمد احدهما تجب وهي المذهب وروي عن ابن مسعود وابن عباس
وبه قال ابو حنيفة واصحابه لحديث عائشة مرفوعا لا نذر في معصية وكفارته
كفارة يمين رواه احمد واهل السنن واحتج به احمد واسحاق الثاني لا
كفارة عليه روي ذلك عن مسروق والشعبي والشافعي لحديث الباب ولم يذكر
فيه كفارة وجوابه انه ذكر الكفارة في الحديث المتقدم والمطلق يحمل على المقيد
قوله ولا فيما لا يملك ابن آدم قال في شرح المصابيح يعني اذا اضاف النذر
الى معين لا يملكه بان قال ان شفى الله مريضي فلله علي ان اعتق
عبد فلان ونحو ذلك فاما اذا التزم في الذمة شيئا بان قال ان شفى
الله مريضي فلله علي ان اعتق رقبة وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فاذا
شفى مريضه ثبت ذلك في ذمته قوله رواه ابو داود واسناده على شرطهما
اي البخاري ومسلم وابو داود اسمه سليمان بن الاشعث بن اسحق بن بشير الازدي
السجستاني صاحب الامام احمد ومصنف السنن والمراسيل وغيرهما ثقة امام
حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين قوله باب
من الشرك النذر لغير الله اي لكونه عبادة يجب الوفاء به اذا نذره لله
فيكون النذر لغير الله شركا في العبادة قوله يوفون بالنذر الاية فالاية
دلت على وجوب الوفاء بالنذر ومدح من فعل ذلك طاعة لله ووفاء بما
تقرب به اليه قوله وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه قال
ابن كثير يخبر تعالى بانه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات
وتضمن ذلك مجازاته على ذلك اوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه
اذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور تقربا بها اليهم ليقضوا

لهم حوائجهم وليشفعوا لهم وهذا شرك في العبادة بلا ريب كما قال تعالى
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى
شركائهم ساء ما يحكمون قال شيخ الإسلام وأما ما نذر لغير الله كالنذر
للأصنام والشمس والقمر ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات
والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذا الناذر للمخلوقات
فإن كلاهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا و
يقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله
وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتنور به ويقول إنها تقبل النذر كما يقوله
بعض الضالين وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به وكذلك
إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبها
من السدنة التي كانت عند العزى واللات ومناة يأكلون أموال الناس
بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال
فيهم الخليل عليه السلام ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون والذين
اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه قال تعالى وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين
في هذه البقاع نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين
عندها وقال الرافعي في شرح المنهاج وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي
أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء
والصالحين فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب والواقع من قصود العامة
تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه
أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن
خصوصيات ويرون أنها مما يدفع به البلاء ويستجلب به النعماء ويستشفى بالنذر لها
من الأدواء حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليها
عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر
الفلاني

الفلاني يقبل أو المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك أنه يحصل به
الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك
من أنواع نذر المجازات فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه
بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا من ذلك نذر الشموع
الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء
والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركا و
تعظيما ظانا أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب في بطلانه والإيقاد المذكور
محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر
البحار النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان
غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة و
يقول يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي
فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو [illegible] من الطعام
كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا فهذا النذر
باطل بالإجماع لوجوه منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا
يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أن المنذور له ميت
والميت لا يملك ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله
واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم
الشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام
بإجماع المسلمين نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في
تذكرته وغيرهما عنه وزاد وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي
وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبح والنذر
للأولياء فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون
باطلا وفي التنزيل ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قل إن صلاتي و
نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له والنذر لغير الله
إشراك مع الله كالذبح لغيره قال المصـ وفي الصحيح عن عائشة رضي

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه
ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه قوله في الصحيح اي صحيح البخاري
قوله عن عائشة هي ام المؤمنين زوج النبي صلعم وابنة الصديق
رضي الله عنها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ابنة سبع سنين ودخل
بها وهي ابنة تسع وهي افقه النساء مطلقا وافضل ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم الا خديجة ففيها خلاف ماتت سنة سبع وخمسين
على الصحيح رضي الله عنها قوله ومن نذر ان يطيع الله فليطعه اي
فليفعل ما نذره من طاعة الله وقد اجمع العلماء على ان من نذر طاعة
لشرط يرجوه كان شفى الله مريضي فعلي ان اتصدق بكذا او نحو ذلك
وجب عليه ان حصل له ما علق نذره على حصوله وهو قول جمهور العلماء
وحكي عن ابي حنيفة انه لا يلزمه الوفاء الا بما جنسه واجب باصل
الشرع كالصوم واما ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يوجب عليه
الوفاء به قوله ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه زاد الطحاوي و
ليكفر عن يمينه وقد اجمع العلماء على انه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية
قال الحافظ اتفقوا على تحريم النذر في المعصية وتنازعوا هل ينعقد موجبا
للكفارة ام لا وقد تقدم وقد يستدل بالحديث على صحة النذر في المباح
كما هو مذهب احمد وغيره ويؤيده ما رواه ابو داود عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده واحمد والترمذي عن بريدة ان امرأة قالت يا رسول الله اني
نذرت ان اضرب على راسك بالدف فقال اوفي بنذرك واما نذر
اللجاج والغضب فهو يمين عند احمد فيخير بين فعله وكفارة يمين لحديث
عمران بن حصين لا نذر في غضب رواه سعيد واحمد والنسائي
فان نذر مكروها كالطلاق استحب ان يكفر ولا يفعله قوله
باب من الشرك الاستعاذة بغير الله الاستعاذة

الالتجا

الالتجاء والاعتصام ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا و
ملجاء ووزرا فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه او يهلكه الى ربه
ومالكه واعتصم واستجار به والتجا اليه وهذا تمثيل والا فما
يقوم بالقلب من الالتجا الى الله والاعتصام به والانطراح بين يدي
الرب والافتقار اليه والتذلل له امر لا تحيط به العبارة قاله ابن
القيم رحمه الله وقال ابن كثير الاستعاذة هي الالتجا الى الله و
الالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعياذ لدفع الشر واللياذ لطلب
الخير انتهى قلت وهي من العبادات التي امر الله بها عباده كما قال تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وامثال
ذلك في القران كثير فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة
وقوله قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فمن صرف من هذه العبادة
شيئا لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبادته ونازع الرب في
الهيته كما ان من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدا لله وعابدا لغيره كما
سياتي تقريره قريبا ان شاء الله وقول الله تعالى وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا قال ابن كثير كنا نرى ان
لنا فضلا على الانس لانهم كانوا يعوذون بنا اذا نزلوا واديا او مكانا موحشا
كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من
الجان ان يصيبهم شيء يسوءهم فلما رات الجن ان الانس يعوذون بهم
من خوفهم منهم زادوهم رهقا اي خوفا وارهابا وذعرا حتى يبقوا
اشد منهم مخافة واكثر تعوذا بهم قال ابو العالية والربيع وزيد بن
اسلم اي خوفا وقال العوفي عن ابن عباس فزادوهم رهقا اي اثما
وكذا قال قتادة وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى بواد

فقر وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد كبير الجن وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله
وقال ملا علي القاري الحنفي لا يجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله
الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع
بعضنا ببعض الآية فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال
أوامره وإخباره بشيء من المغيبات واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه
واستعاذته به وخضوعه له انتهى ملخصا قال المصنف وفيه أن كون الشيء
يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك قوله وعن خولة
بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نزل منزلا
فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله
ذلك رواه مسلم هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية يقال لها أم شريك
ويقال إنها هي الواهبة وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون قال ابن عبد
البر وكانت صالحة فاضلة قوله أعوذ بكلمات الله التامات شرع الله
لأهل الإسلام أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته قال القرطبي قيل معناه
الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناه الكافية
الشافية وقيل الكلمات هنا القرآن فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء وهذا
الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى ولما كان ذلك استعاذة
بصفات الله تعالى كان من باب المندوب إليه المرغب فيه وعلى هذا فحق
المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه و
يتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه
ومغفرة ذنبه قال شيخ الإسلام وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز

الاستعاذة

الاستعاذة بمخلوق وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق قالوا
لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك
ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية
أن يكون فيها شرك وقال ابن القيم ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ
به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما
وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه وبذلك
يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان
لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به قوله من شر ما خلق قال ابن القيم من كل
شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسيا كان أو جنيا أو هامة
أو دابة أو ريحا أو صاعقة أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة وما
ههنا موصولة ليس إلا وليس المراد بها العموم الإطلاقي بل المراد التقييدي
الوصفي والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما خلقه الله فإن الجنة
والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر والشر يقال على شيئين على الألم وعلى
ما يفضي إليه قوله لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك قال القرطبي هذا
خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فإني منذ سمعت هذا
الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا
فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات قوله

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة
الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون وقال غيره الفرق
بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب والدعاء
أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره فعطف الدعاء على الاستغاثة
من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة
أي مادة الدعاء وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء

استغاثة وقوله او يدعو غيره اعلم ان الدعاء نوعان دعاء عبادة
ودعاء مسالة ويراد به في القران هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما
فدعاء المسالة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع او كشف ضر ولهذا
انكر الله على من يدعو احدا من دونه ممن لا يملك ضرا ولا نفعا كقوله
تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم
وقوله قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد
اذ هدانا الله الاية وقال ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان
فعلت فانك اذا من الظالمين قال شيخ الاسلام رحمه الله فكل دعاء عبادة
مستلزم لدعاء المسالة وكل دعاء مسالة متضمن لدعاء العبادة قال
تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم
عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى له دعوة الحق الاية وامثال هذه في القران
في دعاء المسالة اكثر من ان يحصر وهو يتضمن دعاء العبادة لان السائل
مخلص سؤاله لله وذلك من افضل العبادات وكذلك الذاكر لله والتالي
لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعيا عابدا فتبين بهذا
قول شيخ الاسلام ان دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسالة كما ان
دعاء المسالة متضمن لدعاء العبادة وقد قال تعالى عن خليله واعتزلكم وما
تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله الاية فصار الدعاء من انواع العبادة
فان قوله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا كقول زكريا رب اني
وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وقد امر الله تعالى
به في مواضع من كتابه كقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى قوله وادعوه خوفا وطمعا
ان رحمة الله قريب من المحسنين وهذا هو دعاء المسالة المتضمن لدعاء العبادة

فان الداعي

فان الداعي يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذلل وغير ذلك وضابط
هذا ان كل امر شرعه الله لعباده وامرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من
تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله قل
الله اعبد مخلصا له ديني وسياتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله قال شيخ
الاسلام رحمه الله تعالى في الرسالة السنية فاذا كان على عهد النبي صلعم ممن
انتسب من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان
المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام
لاسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح
عليه السلام فكل من غلا في نبي او صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان
يقول يا سيدي فلان انصرني او اغثني او ارزقني او انا في حسبك ونحو هذه
الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله
سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعى
معه اله اخر والذين يدعون مع الله الهة اخرى مثل المسيح والملائكة و
الاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق او تنزل المطر او تنبت النبات
وانما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسله تنهى ان يدعى
احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهى وقال ايضا من جعل بينه
وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسالهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب
الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع وغيرهم وذكره في مسالة
الوسائط وقال ابن القيم رحمه الله تعالى ومن انواعه اي الشرك طلب الحوائج من
الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت
قد انقطع عمله فهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به او سالة
ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده وسياتي تتمة كلامه
في باب الشفاعة ان شاء الله تعالى وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى

ان الله

رجل

شيخ الاسلام ونقلته منه فان ادعى حصر

في رده على السبكي في قوله ان المبالغة في تعظيمه اي الرسول صلى الله
وسلم واجبة ان اريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما
حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد انه يعلم الغيب وانه
يعطي ويمنع لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وانه يقضي الحوائج ويملكه
السائلين ويفرج كربات المكروبين وانه يشفع في من يشاء ويدخل الجنة
من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك والسلاخ
من جملة الدين وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا
من قال ان ارواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي
رحمه الله في كتابه في الرد على من ادعى ان للاولياء تصرفا في الحياة وبعد
الممات على سبيل الكرامة هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات
يدعون للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم
في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف الملمات فياتون قبورهم وينادونهم
في قضاء الحاجات مستدلين على ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ابدال و
نقباء واوتاد ونجباء وسبعون وسبعة واربعون واربعة والقطب
هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور
واثبتوا لهم فيها الاجور قال وهذا كلام فيه افراط وتفريط بل فيه الهلاك
الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة
الكتاب العزيز المصدق ومخالف لعقائد الائمة وما اجمعت عليه الامة
وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى الاية ثم قال فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد
الممات فيرده قوله تعالى االه مع الله الا له الخلق والامر لله ملك السموات والارض
ونحوه من الايات الدالة على انه المتفرد بالخلق والتدبير والتصريف والتقدير
ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا

والحياء

والحياة والاماتة وخلقا وتمدح الرب تبارك وتعالى بملكه في آيات من كتابه
كقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير الاية وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال فقوله
في الايات كلها من دونه اي من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي
وشيطان تستمده فان من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره الى ان قال
~~واما القول بالتصرف بعد الممات فهو اشنع وابدع~~ فكيف يتصور لغيره ان
يمكن ان يتصرف ان هذا القول وخيم وشرك عظيم الى ان قال واما القول
بالتصرف بعد الممات فهو اشنع وابدع من القول بالتصرف في الحيوة
قال جل ذكره انك ميت وانهم ميتون الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
اجل مسمى كل نفس ذائقة الموت كل نفس بما كسبت رهينة وفي الحديث
اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث الحديث فجميع ذلك وما هو
نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان ارواحهم ممسكة
وان اعمالهم منقطعة عن زيادة او نقصان فدل ذلك ان ليس للميت تصرف
في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه
يخبر ان الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة
قل أانتم اعلم ام الله قال واما اعتقادهم ان هذه التصرفات لهم من الكرامات
فهو من المغالطة لان الكرامة شيء من عند الله يكرم به اولياءه لا قصد لهم فيه
ولا التحدي ولا اقتدار ولا علم كما في قصة مريم ابنة عمران واسيد بن حضير وابي
مسلم الخولاني قال واما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا اقبح مما قبله
وابدع لمصادمته قوله جل ذكره امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض االه مع الله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا
وخفية وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال فانه جل ذكره قرر انه الكاشف للضر لا
غيره وانه المتفرد باجابة المضطرين وانه المستغاث لذلك كله وانه القادر على

دفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج
غيره من ملك ونبي وولي لوا لاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية
من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يالزيد
باللمسلمين بحسب الافعال الظاهرة واما الاستغاثة بالقوة والتاثير او
في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض والخوف والغرق والضيق والفقر
وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين
التاثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال
وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان لغير الله من
نبي او ولي او روح او غير ذلك في كشف كربة او قضاء حاجة تاثير فقد
وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير واما كونهم مستدلين
على ان ذلك منهم كرامات فحاشا الله ان تكون اولياء الله بهذه المثابة
فهذا ظن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن هم شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني
شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان ذكرها ليس من شانه النفع ولا الضر
دفع الضر من نبي وولي وغيرهم على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا
قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره قال واما ما قالوه ان منهم ابدالا و
نقباء واوتادا ونجباء وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو
الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث في سراج
المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار والمقصود ان اهل العلم
ما زالوا ينكرون هذه الامور الشركية التي عمت بها البلوى واعتقدها اهل
الاهواء فلو تتبعنا هذه الامور الشركية لطال الكتاب والبصير النبيل يدرك
الحق من اقل دليل ومن قال قولا بلا برهان فقوله ظاهر البطلان مخالف ما عليه
اهل الحق والايمان المتمسكين بمحكم القران المستجيبين لداعي الحق والايمان
والله المستعان وعليه التكلان وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا
يضرك

بالفعل خ

يضرك الايات قال ابن عطية معناه قيل لي ولا تدع فهو عطف على اقم
وهذا الامر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كانت هكذا فاحرى
ان يحذر من ذلك غيره والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عام للامة
قال ابو جعفر بن جرير في هذه الاية يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون
معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الاخرة ولا يضرك
في دين ولا دنيا يعني بذلك الالهة يقول لا تعبدها راجيا نفعها
او خائفا ضرها فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من
دون الله فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله قلت و
هذه الاية لها نظائر كقوله فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
وقوله فلا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو ففي هذه الايات بيان ان كل مدعو
يكون الها والالهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره ولهذا قال لا اله الا هو
كما قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو
العلي الكبير وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه قال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والدين كما بين الله يعم
العبادات الباطنة والظاهرة وفسره ابن جرير في تفسيره بالدعاء وهو فرد من
افراد العبادة على عادة السلف في التفسير يفسرون الاية ببعض افراد
معناها فمن صرف منها شيئا لقبر او صنم او وثن او غير ذلك فقد اتخذه معبودا
وجعله شريكا لله في الالهية التي لا يستحقها غيره الا هو كما قال تعالى ومن يدع مع
الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون فتبين
بهذه الاية ونحوها ان دعوة غير الله شرك وضلال وقوله وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فانه المتفرد بالملك
والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون كل ما سواه فيلزم من ذلك ان يكون هو
المدعو وحده فان العبادة لا تصلح الا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك ولا شيئا
منه غيره فهو المستحق للعبادة وحده دون من لا يضره ولا ينفع وقوله تعالى قل ارايتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني

كما

كفرهم

والمعبود وحده صح

الى قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها الاية فهذا ما اخبر الله به في كتابه من تفرده بالالهية والربوبية
ونصب الادلة على ذلك فاعتقد عباد القبور والمشاهد نقيض ما اخبر الله
واتخذوهم شركاء له في اجتلاب المنافع ودفع المكاره بسؤالهم والالتجاء اليهم
بالرغبة والرهبة والتضرع وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها
الا الله واتخذوهم شركاء له في ربوبيته والهيته وهذا فوق شرك كفار
العرب القائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فانهم اولئك يدعونهم ليشفعوا لهم او يقربوهم الى الله زلفى وكانوا يقولون في تلبيتهم
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك واما هؤلاء المشركون
فاعتقدوا في اهل القبور وفي المشاهد ما هو اعظم من ذلك فجعلوا لهم نصيبا
من التصرف والتدبير وجعلوهم معاذا لهم وملاذا في الرغبات والرهبات
سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وقوله وهو الغفور الرحيم اي لمن تاب اليه وقال
وقوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية يامر بعبادته بابتغاء الرزق عنده
وحده دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقا من السموات والارض فتقديم الظرف
يفيد الاختصاص وقوله واعبدوه من عطف العام على الخاص فان ابتغاء الرزق
عنده من العبادة التي امر بها قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى فابتغوا عند الله
الرزق وانتم عندكم اي لا عند غيره لانه المالك له وغيره لا يملك شيئا من ذلك
واعبدوه اي اخلصوا له العبادة وحده لا شريك له واشكروا له اي على
ما انعم عليكم اليه ترجعون اي فيجازي كل عامل بعمله قال وقوله ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة الايتين فنفى سبحانه ان
يكون احد اضل ممن يدعو غيره واخبر انه لا يستجيب له ما طلب منه الى يوم
القيمة والاية تعم كل من يدعى من دون الله كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
بيان اخبر من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي هذه الاية اخبر انه
لا يستجيب وانه غافل عن داعيه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا

بعبادتهم

٧٠

بعبادتهم كافرين فتناولت الاية كل داع وكل مدعو من دون الله قال
ابو جعفر بن جرير في قوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يقول تعالى ذكره
واذا جمع الناس ليوم القيمة في موقف الحساب كانت هذه الالهة التي
يدعونها في الدنيا لهم اعداء لانهم يتبرؤن منهم وكانوا بعبادتهم كافرين
يقول تعالى ذكره وكانت الهتهم التي يعبدونها في الدنيا لعبادتهم
جاحدين لانهم يقولون يوم القيمة ما امرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم
اياناتبرانا اليك منهم يا ربنا كما قال تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون
الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء الاية قال ابن جرير ويوم
يحشرهم وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن وساق
بسنده عن مجاهد قال عيسى وعزير والملائكة ثم يقول تعالى ذكره
قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها
لك يا ربنا مما اضافوا اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء نواليهم انت ولينا من دونهم انتهى قلت واكثر ما يستعمل
الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء
في السؤال والطلب كما قال العلماء من اهل اللغة وغيرهم الصلاة لغة الدعاء
وقال تعالى وقد قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الاية قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية وقال واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وقال واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال لا
يسام الانسان من دعاء الخير الاية وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الاية
وفي حديث انس مرفوعا الدعاء مخ العبادة وفي الحديث الصحيح ادعوا الله
وانتم موقنون بالاجابة وفي آخر من لم يسال الله يغضب عليه وحديث ليس
شيء اكرم على الله من الدعاء رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان
والحاكم وصححه وقوله الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض
رواه الحاكم وصححه وقوله سلوا الله كل شيء حتى الشسع اذا انقطع الحديث وقال ابن

عباس رضي الله عنهما افضل العبادة الدعاء وقرا وقال ربكم ادعوني استجب
لكم رواه ابن المنذر والحاكم وصححه وحديث اللهم اني اسالك بان لك الحمد
لا اله الا انت المنان الحديث وحديث اللهم اني اسالك بانك انت الله لا اله الا
انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وامثال هذا في
الكتاب والسنة اكثر من ان يحصر في الدعاء الذي هو السؤال والطلب
فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة فقد صادم النصوص وخالف اللغة
واستعمال الامة سلفا وخلفا واما ما تقدم من كلام شيخ الاسلام وتبعه
العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى من ان الدعاء نوعان دعاء مسالة ودعاء
عبادة وما ذكر بينهما من التلازم وتضمن احدهما للاخر فذلك باعتبار
كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبا في المعنى
فيدخل في مسمى الدعاء بهذا الاعتبار وقد شرع الله تعالى في الصلاة
الشرعية من دعاء المسالة ما لا تصح الصلاة الا به كما في الفاتحة وبين السجدتين
وفي التشهد وذلك عبادة كالركوع والسجود فتدبر هذا المقام يتبين
لك جهل الجاهلين بالتوحيد ومما يبين هذا المقام ويزيده ايضاحا قول
العلامة رحمه الله تعالى في قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية هذا الدعاء
المشهور انه دعاء المسالة قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول مرة
يا الله ومرة يا رحمن فظن المشركون انه يدعو الهين فانزل الله هذه الاية ذكر
هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ان الدعاء هنا بمعنى التسمية والمعنى
اي اسم سميتموه به من اسماء الله تعالى اما الله واما الرحمن فله الاسماء الحسنى
وهذا هو من لوازم المعنى في الاية وليس هو عين المراد بل المراد بالدعاء
معناها المعهود المطرد في القران وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء قال
اذا عرف هذا فقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية يتناول نوعي الدعاء
لكنه ظاهر في دعاء المسالة متضمن لدعاء العبادة ولهذا امر باخفائه
قال الحسن بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضعفا ولقد كان
المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم
وبين ربهم وقال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع

الداع اذا دعان يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الاية قيل اعطيه
اذا سالني وقيل اثيبه اذا عبدني وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته
ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للامرين جميعا و
هذا ياتي في مسالة الصلوة وانها نقلت عن مسماها في اللغة وصارت
حقيقة شرعية واستعملت في هذه العبادة مجازا للعلاقة بينها وبين
المسمى اللغوي وهي باقية على الوضع اللغوي وضم اليها اركان وشرائط
فعلى ما قررناه لا حاجة الى شيء من ذلك فان المصلي من اول الصلوة الى
آخرها لا ينفك عن دعاء اما دعاء عبادة وثناء او دعاء طلب ومسالة
وهو في الحالين داع انتهى من البدائع ملخصا قوله امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء يبين تعالى ان المشركين من العرب ونحوهم قد علموا
انه لا يجيب المضطر ويكشف السوء الا الله وحده فذكر سبحانه محتجا عليهم ذلك ثم
في اتخاذهم الشفعاء من دونه ولهذا قال االه مع الله يعني يفعل ذلك
فاذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح ان يجعلوها شركاء
لله الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وحده وهذا اصح
ما فسرت به هذه الاية كسابقتها من قوله امن خلق السموات والارض الى قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ولاحقتها الى قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فتامل
هذه الايات يتبين لك ان الله تعالى احتج على المشركين بما اقروا به على ما جحدوه من
قصر العبادة جميعها عليه كما في فاتحة الكتاب اياك نعبد واياك نستعين قال ابو
جعفر ابن جرير قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه الى قوله قليلا ما تذكرون
يقول تعالى اما تشركون بالله خير ام الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء النازل به عنه قوله ويجعلكم خلفاء الارض يقول يستخلف بعد امواتكم
خلفاء احياء يخلفونهم وقوله االه مع الله يقول االه سوى الله يفعل هذه الاشياء
بكم وينعم عليكم هذه النعم وقوله قليلا ما تذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة
الله واياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك اشر

[illegible]

كنتم بالله غيره في عبادته قوله وروى الطبراني باسناده انه كان في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين الحديث الطبراني هو الامام الحافظ سليمان
بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها روى
عن النسائي واسحاق بن ابرهيم الدبري وخلق كثير مات سنة ستين
وثلثمائة روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قوله انه كان في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين لم اقف على تسمية هذا المنافق
قلت هو عبد الله بن ابي كما صرح به ابن ابي حاتم في روايته وقوله فقال بعضهم اي الصحابة
هو ابو بكر رضي الله عنه قوله قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من
هذا المنافق لانه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على كف اذاه قوله انه لا يستغاث
بي وانما يستغاث بالله فيه النص على انه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بمن دونه
كره صلى الله عليه وسلم ان يستعمل هذا اللفظ في حقه وان كان فيما يقدر عليه في
حياته حماية لجناب التوحيد وسدا لذرائع الشرك وادبا وتواضعا لربه و
تحذيرا للامة من وسائل الشرك في الاقوال والافعال فاذا كان هذا فيما يقدر
عليه صلى الله عليه وسلم في حياته فكيف يجوز ان يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه
امور لا يقدر عليها الا الله كما جرى على السنة كثير من الشعراء
كالبوصيري والبرعي وغيرهم من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا و
لا موتا ولا حيوة ولا نشورا ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر
على كل شيء الذي له الخلق والامر وحده لا اله غيره ولا رب سواه قال تعالى قل (وله الملك)
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله في مواضع من القران قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا فاعرض هؤلاء عن القران واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه
الايات المحكمات وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجم الغفير فاعتقدوا
الشرك بالله دينا والهدى ضلالا فانا لله وانا اليه راجعون فما اعظمها من مصيبة
عمت بها البلوى فعاندوا اهل التوحيد وبدعوا اهل التجريد فالله المستعان
قوله باب قول الله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون
لهم نصرا الاية قوله ايشركون اي في العبادة قال المفسرون في هذه الاية

توبيخ

توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا
وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم
لها وبين انهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون
فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وهذا
برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله وهذا وصف
كل مخلوق حتى الملائكة والانبياء والصالحين واشرف الخلق محمد صلى
الله عليه وسلم قد كان يستنصر ربه على المشركين ويقول اللهم انت
عضدي ونصيري بك احول وبك اصول وبك اقاتل وهذه كقوله تعالى
واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقوله قل لا
املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء الاية وقوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني
لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته
فكفى بهذه الايات برهانا على بطلان دعوة غير الله كائنا من كان فان كان
نبيا او صالحا فقد شرفه الله تعالى باخلاص العبادة له والرضى به ربا ومعبودا
فكيف يجوز ان يجعل العابد معبودا مع توجيه الخطاب اليه بالنهي عن هذا الشرك
كما قال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون وقال ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه فقد امر
عباده من الانبياء والصالحين وغيرهم باخلاص العبادة له وحده ونهاهم ان يعبدوا
معه غيره وهذا هو دينه الذي بعث به رسله وانزل به كتبه ورضيه لعباده وهو
الاسلام كما روى البخاري عن ابي هريرة في سؤال جبريل عليه السلام قال يا
رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي
الزكوة المفروضة وتصوم رمضان الحديث وقول الله تعالى والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير الاية يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والانبياء
والاصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم وانهم قد انتفت عنهم الاسباب

التي تكون في المدعو وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجابته فمتى لم
توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته فكيف اذا عدمت بالكلية فنفى عنهم الملك
بقوله ما يملكون من قطمير قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطا والحسن و
قتادة القطمير اللفافة التي تكون على نواة التمر كما قال تعالى ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقال قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الاية
ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم ما بين ميت
وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما امر به كالملائكة ثم قال ولو سمعوا ما
استجابوا لكم لان ذلك ليس اليهم فان الله تعالى لم ياذن لاحد من عباده في دعاء احد
منهم لا استقلالا ولا واسطة كما تقدم بعض دلائل ذلك وقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم يكفرون ح
قال ابن كثير يتبرؤن منكم كما قال تعالى فتبين بهذا ان دعوة غير الله شرك
وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم و
يكونون عليهم ضدا وقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم قال ابن كثير يتبرؤن
منكم كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله الى قوله وكانوا بعبادتهم
كافرين وقوله ولا ينبئك مثل خبير اي ولا يخبرك بعواقب الامور ومآلها
وما تصير اليه مثل خبير بها قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه اخبر بالواقع
لا محالة قلت والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما اخبر به عن معبوداتهم
فقالوا تملك وتسمع وتجيب وتشفع لمن دعاها ولم يلتفتوا الى ما اخبر به
الخبير من ان كل معبود يعادي عابده يوم القيمة ويتبرأ منه كما قال تعالى ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الاية الى قوله وضل عنهم ما
كانوا يفترون اخرج ابن جرير عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم
لغافلين قال يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله فالكيس يستقبل هذه
الايات التي هي الحجة والنور والبرهان بالايمان والقبول والعمل فيجرد اعماله
لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا دفعا فضلا عن غيره قوله
في الصحيح عن انس قال شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته فقال
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الامر شيء قوله في الصحيح اي الصحيح

علقه البخاري

علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن انس ووصله احمد والترمذي و
النسائي عن حميد عن انس به ووصله مسلم عن ثابت عن انس وقال ابن اسحاق في
المغازي حدثني حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله الاية قوله شج
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو السعادات الشج في الراس خاصة في الاصل و
هو ان يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الاعضاء وذكر ابن
هشام من حديث ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص هو الذي كسر هو ح
رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري
هو الذي شجه في وجهه وان عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان
من حلق المغفر في وجنته وان مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وازدرده فقال لن تمسك النار قال القرطبي والرباعية بفتح الراء
وتخفيف الياء وهي كل سن بعد ثنية قال النووي وللانسان اربع رباعيات
قال الحافظ والمراد انها كسرت فذهبت منها فلقة ولم تقلع من اصلها قال
النووي وفي هذا وقوع الاسقام بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والابتلاء ح
لينالوا جزيل الاجر والثواب ولتعلم اممهم ما اصابهم ويتاسوا بهم قال
القاضي وليعلم انهم من البشر تصيبهم الامحن الدنيا ويطرى على اجسامهم
ما يطرى على اجسام البشر ليتيقنوا انهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن يفتتن ح
بما ظهر على ايديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من امرهم ما لبسه على النصارى
وغيرهم انتهى قلت يعني من الغلو والعبادة قوله يوم احد جبل معروف كانت
عنده الوقعة المشهورة فاضيف اليه قوله كيف يفلح قوم شجوا نبيهم زاد مسلم وكسروا يفلح ح
رباعيته وادموا وجهه قوله فانزل الله ليس لك من الامر شيء قال ابن عطية
كان النبي صلى الله عليه وسلم لحقه ياس في تلك الحال من فلاح كفار قريش فقيل له بسبب ذلك

ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشانك ودم
على الدعاء لربك وقال ابن اسحق ليس لك من الامر شيء في عبادي الا ما امر
تك به فيهم ○ قوله وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر اللهم العن فلانا و
فلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده الحديث ○ قوله وفيه اي في صحيح البخاري
ورواه النسائي قوله عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله هو عبد الله
بن عمر بن الخطاب صحابي جليل شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح مات
سنة ثلاث وسبعين في آخرها او اول التي تليها ○ قوله انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا القنوت على هؤلاء بعدما شج وكسرت رباعيته يوم احد ○ قوله اللهم
العن فلانا وفلانا قال ابو السعادات اصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن
الخلق السب والدعاء وتقدم كلام شيخ الاسلام رحمه الله ○ قوله فلانا وفلانا يعني
صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام كما بينه في الرواية الاتية
وفيه جواز الدعاء على المشركين باعيانهم في الصلاة وان ذلك لا يضر الصلاة في ح
قوله بعدما يقول سمع الله لمن حمده قال ابو السعادات اي اجاب حمده وتقبله
قال السهيلي مفعول سمع محذوف لان السمع متعلق بالاقوال والاصوات
دون غيرها فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع فاجتمع في الكلمة
الايجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده وقال ابن القيم ما معناه
عدى سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى استجاب له ولا حذف هناك
وانما هو متضمن قوله ربنا ولك الحمد في بعض روايات البخاري باسقاط الواو
وقال ابن دقيق العيد كان اثباتها دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب
ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر قال شيخ الاسلام والحمد ضد الذم
والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له كما ان الذم يكون على مساويه مع البغض له
وكذا قال ابن القيم وفرق بينه وبين المدح بان الاخبار عن محاسن الغير اما ان
يكون اخبارا مجردا عن حب وارادة او يكون مقرونا بحبه وارادته فان كان

الاول

الاول فهو المدح وان كان الثاني فهو الحمد فالحمد اخبار عن محاسن المحمود مع
حبه واجلاله وتعظيمه ولهذا كان خبرا يتضمن الانشاء بخلاف المدح فانه
خبر مجرد فالقائل اذا قال الحمد لله او قال ربنا ولك الحمد تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد
عليه تعالى باسم جامع [illegible] محيط متضمن لكل فرد من افراد الجملة المحققة والمقدرة
وذلك يستلزم اثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ولهذا لا تصلح هذه اللفظة
على هذا الوجه ولا تنبغي الا لمن هذا شانه وهو الحميد المجيد وفيه التصريح
بان الامام يجمع بين التسميع والتحميد وهو قول الشافعي واحمد وخالف في ذلك مالك
وابو حنيفة فقالا يقتصر على سمع الله لمن حمده قوله وفي رواية يدعو على صفوان
ابن امية وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام وذلك لانهم رؤوس المشركين يوم
أحد هم وابو سفيان بن [illegible] حرب فما استجيب له صلى الله عليه وسلم فيهم بل انزل
الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فتاب عليهم فاسلموا وحسن
اسلامهم وفي هذا كله معنى شهادة ان لا اله الا الله الذي له الامر كله يهدي من
يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وفي هذا من الحجج والبراهين
ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الاولياء والصالحين بل في الطواغيت
من انهم ينفعون من دعاهم ويمنعون من لاذ بحماهم فسبحان من حال بينهم
وبين فهم الكتاب وذلك عدله سبحانه وهو الذي يحول بين المرء وقلبه وبه الحول و
القوة قوله وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله صم حين انزل عليه و
انذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني
عنكم من الله شيئا الحديث قوله وفيه اي صحيح البخاري قوله عن ابي هريرة اختلف
في اسمه وصحح النووي ان اسمه عبد الرحمن بن صخر كما رواه الحاكم في المستدرك
عن ابي هريرة قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسميت في الاسلام
عبد الرحمن وروى الدولابي باسناده عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم سماه عبد الله وهو دوسي من فضلاء الصحابة وحفاظهم
حفظ عن النبي صم اكثر مما حفظ غيره مات سنة سبع او ثمان او تسع وخمسين

وهو بن ثمان وسبعين سنة قوله قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح من رواية
ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله حين انزل عليه وانذر عشيرتك
الاقربين عشيرة الرجل هم بنو ابيه الادنون او قبيلته لانهم احوج الناس ببرك
واحسانك الديني والدنيوي كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وقد امره الله تعالى ايضا بالنذارة العامة
كما قال تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون وانذر الناس يوم يأتيهم
العذاب قوله يا معشر قريش المعشر الجماعة قوله او كلمة نحوها هو بنصب كلمة
عطفا على ما قبله قوله اشتروا انفسكم من الله اي بتوحيد الله واخلاص
العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما امر به والانتهاء عما نهى عنه فان
ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا الاعتماد على الانساب والاحساب
فان ذلك غير نافع عند رب الارباب قوله لا اغني عنكم من الله شيئا فيه حجة
على من تعلق على الانبياء والصالحين ورغب اليهم ليشفعوا له او ينفعوه
او يدفعوا عنه فان ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى واقام نبيه صلى الله عليه وسلم
بالانذار عنه كما اخبر تعالى عن المشركين في قوله والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله فابطل
الله ذلك ونزه نفسه عن هذا الشرك وسياتي تقرير هذا المقام ان شاء
الله تعالى وفي صحيح البخاري يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا قوله يا عباس
ابن عبد المطلب بنصب ابن ويجوز في عباس الرفع والنصب وكذا في قوله يا
صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد قوله سليني من مالي ما شئت بين صلى
الله عليه وسلم انه لا ينجي من عذاب الله الا الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يجوز
ان يسال العبد الا ما يقدر عليه من امور الدنيا واما الرحمة والمغفرة والجنة و
النجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه الا الله فلا يجوز ان يطلب
الا منه فان ما عند الله لا ينال الا بتجريد التوحيد والاخلاص له بما شرعه

ورضيه

ورضيه لعباده ان يتقربوا اليه به فاذا كان لا ينفع ابنته وعمه وعمته وقرابته
الا بذلك فغيرهم احرى واولى وفي قصة عمه ابي طالب معتبر فانظر الى
الواقع من كثير من الناس من الالتجاء الى الاموات والتوجه اليهم بالرغبات
والرهبات وهم عاجزون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن
غيرهم تبين لك انهم ليسوا على شيء انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله ويحسبون انهم مهتدون اظهر لهم الشيطان الشرك
في قالب محبة الصالحين وكل صالح يبرأ الى الله من هذا الشرك في الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد ولا ريب ان محبة الصالحين انما تحصل بموافقتهم
في طاعة رب العالمين لا باتخاذهم اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله
اشراكا بالله وعبادة لغير الله وعداوة لله ولرسوله والصالحين من عباده
كما قال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني و
امي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت
عليهم شهيدا الاية قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الاية بعد كلام
سبق ثم نفى ان يكون قال لهم غير ما امره به وهو محض التوحيد فقال ما
قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ثم اخبر عن شهادته
عليهم مدة اقامته فيهم وانه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم وان الله عز
وجل المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وصفه سبحانه
بان شهادته فوق كل شهادة واعم انتهى قلت ففي هذا بيان ان المشركين خالفوا
ما امر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس
اليه وفارقوهم فيه الا من اسلم فكيف يقال لمن دان بدينهم واطاعهم فيما امروا به من
اخلاص العبادة لله وحده انه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي اطاع به
ربه واتبع فيه رسله عليهم السلام ونزه ربه عن الشرك الذي هو هضم

[هامش: يعني في الدنيا وبعدها ا.هـ]

للربوبية وتنقص للالهية وسوء ظن برب العالمين والمشركون هم
خصماء اعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والاخرة وقد شرع لاتباعهم
ان يتبرؤا من كل مشرك ويكفروا به ويبغضوه ويعادوه في ربهم
ومعبودهم قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين.

باب قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قوله حتى اذا فزع
عن قلوبهم اي زال عنها الفزع قاله ابن عباس وابن عمر وابو عبد
الرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم وقال ابن جرير قال بعضهم
الذي فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا وانما فزع عن قلوبهم من غشية
تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي وقال ابن عطية في الكلام حذف
يدل عليه الظاهر كانه قال ولا هم شفعاء كما تزعمون انتم بل هم عبدة
مسلمون ابدا يعني منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم والمراد الملائكة
على ما اختاره ابن جرير وغيره قال ابن كثير وهو الحق الذي لا مرية
فيه لصحة الاحاديث فيه والاثار وقال ابو حيان تظاهرت الاحاديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في
الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل يامره الله به سمعت كجر سلسلة
الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة قال وبهذا
المعنى من ذكر الملائكة في صدر الايات تتسق هذه الاية بما قبلها
على الاولى ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من اول قوله الذين
زعمتم لم تتصل له هذه الاية بما قبلها قوله ماذا قال ربكم ولم يقولوا
ماذا خلق ربنا ولو كان كلام الله مخلوقا لقالوا ماذا خلق انتهى من
شرح سنن ابن ماجه ومثل الحديث ماذا قال ربنا يا جبريل وامثال
هذا في الكتاب والسنة كثير قوله قالوا الحق وذلك لانهم
اذا سمعوا كلام الله صعقوا ثم اذا افاقوا اخذوا يسالون فيقولون

ماذا قال ربكم

ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق قوله وهو العلي الكبير علو القدر و
علو القهر وعلو الذات فله العلو الكامل من جميع الوجوه كما قال عبد الله
ابن المبارك لما قيل له بم نعرف ربنا قال بانه على عرشه بائن من خلقه
تمسكا منه بالقران لقول الله تعالى الرحمن على العرش استوى ثم استوى على
العرش الرحمن في سبعة مواضع من القران قوله الكبير اي الذي لا اكبر
منه ولا اعظم تبارك وتعالى قال وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة
باجنحتها خضعانا لقوله الحديث قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله اذا
قضى الله الامر في السماء اي اذا تكلم الله بالامر الذي يوحيه الى جبريل
بما اراده الله كما صرح به في الحديث الاتي وكما روى سعيد بن منصور
وابو داود وابن جرير عن ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات
صلصلة كجر السلسلة على الصفوان وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه
عن ابن عباس قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول
من الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي
فلما كشف عن قلوبهم سالوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا ان
الله لا يقول الا حقا قوله ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله
اي لقول الله تعالى قال الحافظ خضعانا بفتحتين من الخضوع و
في رواية بضم اوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى خاضعين
قوله كانه سلسلة على صفوان وهو الحجر الاملس قوله ينفذهم ذلك
هو بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة ذلك
اي القول والضمير في ينفذهم للملائكة اي ينفذ ذلك القول
الملائكة اي يخلص ذلك القول ويمضي فيهم حتى يفزعوا
منه وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس فلا ينزل على اهل سماء

الا صعقوا وعند ابي داود وغيره مرفوعا اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل
السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون
كذلك حتى ياتيهم جبريل الحديث قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
تقدم معناه قوله قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي قالوا قال الله الحق علموا
انه لا يقول الا الحق قوله فيسمعها مسترق السمع اي يسمع الكلمة التي
قضاها الله وهم الشياطين يركب بعضهم بعضا وفي صحيح البخاري عن
عائشة مرفوعا ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر
قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان قوله و
مسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد
بين اصابعه اي وصف ركوب بعضهم بعضا فوق بعض وسفيان
هو بن عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه امام
حجة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله احدى وتسعون سنة
قوله فحرفها بحاء مهملة وراء مشددة وفاء قوله وبدد اي فرق بين
اصابعه قوله فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته اي يسمع الفوقاني
الكلمة فيلقيها الى الذي تحته ثم يلقيها الى من تحته حتى يلقيها على
لسان الساحر او الكاهن قوله فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها
الشهاب هو النجم الذي يرمى به اي ربما ادرك الشهاب المسترق وهذا
يدل على ان الرمي بالشهب كان قبل المبعث لما رواه احمد وغيره والسياق له
في المسند من طريق معمر انبانا الزهري عن علي بن حسين عن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من
اصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمي بنجم عظيم فاستنار
قال ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا في الجاهلية قال كنا نقول لعله
ولد عظيم او مات عظيم قلت للزهري اكان يرمى بها في الجاهلية

قال نعم

غفورا وقال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا وقال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله
وقد قرر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ان هذه المخلوقات تسبح
الله وتخشاه حقيقة واحتج بهذه الايات ونحوها وفي البخاري
عن ابن مسعود قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي حديث
ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ في يده حصيات فسمع لهن
تسبيحا الحديث وفي الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان
يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل اتخاذ المنبر ومثل هذا كثير
قوله صعقوا وخروا لله سجدا الصعق هو الغشي ومعه السجود
قوله فيكون اول من يرفع راسه جبريل بفتح اول جبريل يكون مقدما
على اسمها ويجوز العكس ومعنى جبرائيل عبد الله كما روى ابن جرير
وغيره عن علي بن حسين قال كان اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل
عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن وكل شيء رجع الى ايل فهو معبد
لله عز وجل وفيه فضيلة جبريل عليه السلام كما قال تعالى انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين قال ابن
كثير رحمه الله تعالى انه لتبليغ رسول كريم قال ابو صالح في الاية
قال جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير اذن ولاحمد
باسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح
منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر
والياقوت ما الله به عليم فاذا كان هذا اعظم هذه المخلوقات
فخالقها اعظم واجل واكبر فكيف يسوى به غيره في العبادة

دعاءً وخوفا ورجاءً وتوكلا وغير ذلك من العبادات التي لا
يستحقها غيره فانظر الى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى و
قد قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم
من خشيته مشفقون الى قوله كذلك نجزي الظالمين قوله ثم
ينتهي جبريل بالوحي الحديث امره الله عز وجل من السماء والارض
وهذا تمام الحديث والايات المذكورة في هذا الباب والاحاديث
تقرر التوحيد الذي هو معنى لا اله الا الله فان
الملك العظيم الذي تصعق الاملاك من كلامه خوفا منه ومهابة
وترجف منه المخلوقات الكامل في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته و
ملكه وعزته وغناه عن جميع خلقه وافتقارهم جميعهم اليه و
نفوذ قدرته وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته فلا يجوز شرعا ولا عقلا
ان يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم
فكيف يجعل المربوب ربا والعبد معبودا اين ذهبت عقول المشركين
سبحان الله عما يشركون وقال تعالى ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا الاية فاذا كان الجميع عبيدا فلم يعبد بعضهم
بعضا بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الراي والاختراع والابتداع
ثم قد ارسل رسله من اولهم الى آخرهم تزجرهم عن ذلك الشرك
وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله انتهى من شرح سنن ابن ماجه.

قوله **باب الشفاعه** اي بيان ما اثبته القرآن منها وما
نفاه وحقيقة ما دل القرآن على اثباته قوله وقول الله عز وجل وانذر
به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع

الانذار

هو الاعلام

الانذار باسباب المخافة والتحذير منها قوله به قال ابن عباس
بالقرآن الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون
وعن الفضيل بن عياض ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين
يعقلون فقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
وهم المؤمنون اصحاب القلوب الواعية قوله ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع قال الزجاج موضع ليس نصب على الحال كانه
قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون قوله لعلهم
يتقون اي فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب
يوم القيامة قوله قل لله الشفاعة جميعا وقبلها ام اتخذوا من
دونه شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وهذه
الاية كقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون فبين في هذه الايات وامثالها ان وقوع الشفاعة
على هذا الوجه منتف وممتنع وان اتخاذهم شفعاء شرك
يتنزه الرب تعالى عنه وقد قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما
كانوا يفترون فبين تعالى ان دعواهم انهم تشفع لهم آلهتهم
افك منهم افك وافتراء وقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا
اي هو مالكها فليس لمن تطلب منه شيء منها وانما تطلب ممن يملكها
كلها دون ما سواه لان ذلك عبادة وتأله لا يصلح الا لله قال البيضاوي
لعله رد لما عسى ان يجيبوا به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون
وقوله له ملك السموات والارض تقرير لما هو لبطلان اتخاذ

الشفعاء من دونه لانه ﷺ مالك الملك فاندرج في ذلك ملك
الشفاعة فاذا كان هو مالكها بطل ان تطلب ممن لا يملكها من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال
ابن جرير نزلت لما قال الكفار ما نعبد اوثاننا هذه الا ليقربونا
الى الله زلفى قال الله تعالى له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
قال وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قد تبين مما تقدم من
الايات ان الشفاعة التي نفاها القران هي التي تطلب من غير الله
وفي هذه الاية ان الشفاعة انما تقع في الدار الاخرة باذنه كما
قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له
قولا فبين انها لا تقع لاحد الا بشرطين اذن الرب للشافع
ان يشفع ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه وهو تعالى لا يرضى
من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة الا ما اريد به وجهه ولقي
العبد به ربه مخلصا غير شاك في ذلك كما دل على ذلك الحديث
الصحيح وسياتي ذلك مقررا ايضا في كلام شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى قوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى قال
ابن كثير رحمه الله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى كقوله من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
اذن له فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون
ايها الجاهلون شفاعة هذه الانداد عند الله وهو لم يشرع

عبادة

والدعوات والادوية المباحة فجائز والله اعلم باب ما جاء
في التطير اي من النهي عنه والوعيد فيه مصدر تطير يتطير
تطيرا والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن اسم مصدر
من تطير طيرة كما يقال تخير خيرة ولم يجئ في المصادر على هذه
الزنة غيرهما واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير
والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه
الشارع وابطله واخبر انه لا تاثير له في جلب نفع او دفع ضر
قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج قلت ما السانح قال
ما ولاك ميامنه قلت فما البارح قال ما ولاك مياسره قال
والذي يجئ من امامك فهو الناطح والنطيح والذي يجئ من
خلفك هو القاعد والقعيد ولما كانت الطيرة من الشرك
المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من القاء الشيطان
وتخويفه ووسوسته بتعليق القلب بها خوفا وطمعا ومنافاتها
للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره واعتقاد النفع
والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد فهذا ان
كان من الشرك الاصغر فهو من اقبح الشرك وهذا كاعتقاد
المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى اعتقدوا ان لها تاثيرا
في الكون وهي خلق مسخر لا تنفع ولا تضر ذكرها المصنف رحمه الله
في كتاب التوحيد تحذيرا مما ينافي كمال التوحيد الواجب
قوله وقال الله تعالى الا انما طائرهم عند الله الاية ذكر تعالى في
هذه الاية في سياق قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا

لنا هذه

سألت

عما يراد به الاصلاح وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا
يعلم انه سحر قوله وروي عن الحسن قال لا يحل السحر الا ساحر
هذا الاثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد والحسن هو ابن
ابي الحسن واسمه يسار بالتحتية والمهملة البصري الانصاري
مولاهم ثقة فقيه امام من خيار التابعين مات سنة عشر ومائة
رحمه الله وقد قارب التسعين قوله قال ابن القيم النشرة حل السحر عن
المسحور وهي نوعان حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان
الى آخره ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن
ابي حاتم وابو الشيخ عن ليث بن ابي سليم قال بلغني ان هؤلاء
الايات شفاء من السحر باذن الله تقرا في اناء فيه ماء ثم يصب
على راس المسحور الاية التي في سورة يونس فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله الى قوله ولو كره المجرمون وقوله
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون الى آخر الايات الاربع
وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال
ابن بطال في كتاب وهب بن منبه انه ياخذ سبع ورقات
من سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرا فيه
اية الكرسي والقواقل ~~ثم يضرب به الماء~~ ثم يحسو منه
ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كلما به وهو جيد
للرجل اذا حبس عن اهله قلت قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والادوية المباحة
جائز لعله رحمه الله تعالى الى مثل هذا وعليه يحمل كلام من اجاز النشرة
من العلماء والحاصل ان ما كان منها بالسحر فحرام وما كان بالقرآن

من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد اي
بالصلاة عندها واليها وبناء المساجد عليها وتقدم
في الاحاديث الصحيحة ان هذا من عمل اليهود والنصارى
وان النبي صلى الله عليه وسلم لعنهم على ذلك تحذيرا للامة ان
يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود والنصارى فما
رفع اكثرهم بذلك راسا بل اعتقدوا ان هذا الامر قربة
الى الله وهو مما يبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته
ومغفرته والعجب ان اكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه
الامة لا ينكرون ذلك بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله
فلقد اشتدت غربة الاسلام وعاد المعروف منكرا والمنكر
معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة نشا على هذا الصغير
وهرم عليه الكبير قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى اما بناء
المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه
متابعة للاحاديث الصحيحة وصرح اصحابنا وغيرهم
من اصحاب مالك والشافعي بتحريمه قال ولا ريب في القطع
بتحريمه ثم ذكر الاحاديث في ذلك الى ان قال وهذه
المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين او الملوك
وغيرهم تتعين ازالتها بهدم او غيره هذا مما لا اعلم
فيه خلافا بين العلماء المعروفين وقال ابن القيم رحمه الله
تعالى يجب هدم القباب التي بنيت على القبور لانها

اسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقد افتى جماعة من
الشافعية بهدم ما في القرافة من الابنية منهم ابن الجميزي
والظهير التزمنتي وغيرهما وقال القاضي ابن كج ولا يجوز
ان يجصص القبور ولا ان يبنى عليها قباب ولا غير قباب
والوصية بها باطلة وقال الاذرعي واما بطلان الوصية
ببناء القباب وغيرها من الابنية وانفاق الاموال الكثيرة
فلا ريب في تحريمه وقال القرطبي في حديث جابر رضي
الله عنه نهى ان يجصص القبر او يبنى عليه وبظاهر هذا الحديث
قال مالك وكره البناء والجص على القبور وقد اجازه غيره
وهذا الحديث حجة عليه وقال المالكي ابن رشد كره مالك
البناء على القبور وجعل البلاطة المكتوبة وهو من بدع
اهل الطول احدثوه ارادة الفخر والمباهاة والسمعة
وهو مما لا اختلاف فيه وقال الزيلعي في شرح الكنز و
يكره ان يبنى على القبر وذكر قاضي خان انه لا يجصص
القبر ولا يبنى عليه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر والمراد بالكراهة
عند الحنفية كراهة التحريم وقد ذكره ابن نجيم في شرح
الكنز وقال الشافعي رحمه الله اكره ان يعظم مخلوق حتى
يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من
الناس وكلام الشافعي رحمه الله يبين ان مراده بالكراهة
كراهة

كراهة التحريم قال الشارح رحمه الله تعالى وجزم النووي
رحمه الله في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقا وذكر
في شرح مسلم نحوه ايضا وقال ابو محمد عبد الله بن احمد
ابن قدامة امام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار
كالمغني والكافي وغيرهما رحمه الله تعالى ولا يجوز اتخاذ المساجد
على القبور لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود و
النصارى الحديث وقد روينا ان ابتداء عبادة الاصنام
تعظيم الاموات واتخاذ صورهم والتمسح بها والصلوة
عندها انتهى ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك لاحتمل
عدة اوراق فتبين بهذا ان العلماء رحمهم الله بينوا
ان علة النهي ما يؤدي اليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها
من دون الله كما هو الواقع والله المستعان وقد حدث
بعد الائمة ومن يعتد بقولهم اناس كثر في ابواب العلم
بالله اضطرابهم وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله
من الهدى والعلم حجابهم فقيدوا النصوص بالكتاب و
السنة بقيود اوهنت الانقياد وغيروا بها ما قصده الرسول
صلى الله عليه وسلم بالنهي واراد فقال بعضهم النهي عن البناء
على القبور يختص بالمقبرة المسبلة والنهي عن الصلوة فيها
لتنجسها بصديد الاموات وهذا كله باطل لوجوه منها
انه من القول على الله بلا علم وهو حرام بنص الكتاب ومنها
ان ما قالوه لا يقتضي لعن فاعليه والتغليظ عليه وما

المانع له من ان يقول لمن صلى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله
ويلزم على ما قاله هؤلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين العلة
واحال الامة في بيانها على من يجيء بعده صلى الله عليه وسلم
وبعد القرون المفضلة والائمة وهذا باطل قطعا
عقلا وشرعا لما يلزم عليه من ان الرسول صلى الله عليه وسلم
عجز عن البيان او قصر في البلاغ وهذا من ابطل الباطل
فان النبي صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين وقدرته
في البيان فوق قدرة كل احد فاذا بطل اللازم بطل
الملزوم ويقال ايضا هذا اللعن والتغليظ الشديد
انما هو فيمن اتخذ قبور الانبياء مساجد وجاء في
بعض النصوص ما يعم الانبياء وغيرهم فلو كانت هذه
هي العلة لكانت منتفية في قبور الانبياء لكون اجسادهم
طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلوة عند قبورهم فاذا
كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور
الانبياء بالنص علم ان العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين
قد نقلت اقوالهم والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله **باب ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين
يصيرها اوثانا تعبد من دون الله** روى مالك (بلغ مقابلة)
في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم
لا تجعل

لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد هذا الحديث رواه
مالك مرسلا عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث ورواه ابن ابي شيبة في
مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن اسلم به ولم يذكر عطاء
ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن ابي سعيد الخدري
مرفوعا وله شاهد عند الامام احمد بسنده عن سهيل بن
ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رفعه اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قوله
روى مالك في الموطا هو الامام مالك بن انس بن ابي عامر (ابن مالك)
ابن عمرو الاصبحي ابو عبد الله المدني امام دار الهجرة واحد
الائمة الاربعة واحد المتقنين للحديث حتى قال البخاري
اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة تسع و
سبعين ومائة وكان مولده سنة ثلث وتسعين وقيل اربع
وتسعين قال الواقدي بلغ تسعين سنة قوله اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد قد استجاب الله دعاءه كما قال ابن القيم
رحمه الله تعالى فاجاب رب العالمين دعاءه واحاطه
بثلاثة الجدران حتى غدت ارجاؤه بدعائه في عزة
وحماية وصيان ودل الحديث على ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لو عبد لكان وثنا لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين
الناس فلا يوصل اليه ودل الحديث على ان الوثن هو ما يباشره
العابد من القبور والتوابيت التي عليها وقد عظمت الفتنة

بالقبور بتعظيمها وعبادتها كما قال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه كيف انتم اذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ
فيها الصغير تجري على الناس يتخذونها سنة اذا غيرت
قيل غيرت السنة انتهى ولخوف الفتنة نهى عمر رضي الله عنه
عن تتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن وضاح سمعت عيسى
ابن يونس يقول امر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع
تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون
فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة وقال المعرور بن سويد
صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ثم
راى الناس يذهبون مذاهب فقال اين يذهب هؤلاء
فقيل يا امير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم
يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا
يتتبعون آثار انبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا فمن
ادركته الصلوة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض
ولا يتعمدها وفي مغازي ابن اسحاق من زيادات يونس
ابن بكير عن ابي خلدة خالد بن دينار حدثنا ابو العالية
قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه
رجل ميت عند راسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه
الى عمر فدعى له كعبا فنسخه بالعربية فانا اول رجل قرأه من العرب
قرأته مثل ما اقرأ القرآن فقلت لابي العالية ما كان فيه قال
سيرتكم واموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما
صنعتم

صنعتم بالرجل قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما
كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه
قلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا
بسريره فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له
دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاثمائة سنة
قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه ان
لحوم الانبياء لا تبليها الارض قال ابن القيم رحمه الله تعالى ففي هذه
القصة ما فعله المهاجرون والانصار رضي الله عنهم من تعمية قبر
دانيال لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به
ولو ظفر بها به المتاخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه
من دون الله قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وهو انكار
منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب
الشارع قصدها فهو من المنكرات وبعضه اشد من بعض سواء
قصدها ليصلي عندها او ليدعو عندها او ليقرأ عندها او
ليذكر الله عندها او لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة
بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعا ولا عينا الا
ان ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن
يزورها ويسلم عليها ويسال الله العافية له وللموتى
كما جاءت به السنة واما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر
ان الدعاء هناك اجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه انتهى

ملخصا قوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد فيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها
وان ذلك من الكبائر وفي القرى للطبري عن اصحاب مالك
عن مالك انه كره ان يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلل
ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد الحديث
كره اضافة هذا اللفظ الى القبر لئلا يقع التشبه بفعل
اولئك سدا للذريعة قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ومالك
قد ادرك التابعين وهم اعلم الناس بهذه المسألة فدل ذلك
على انه لم يكن معروفا عندهم الفاظ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم
الى ان قال وقد ذكروا في اسباب كراهة لان يقول زرت
قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد
الزيارة البدعية وهي قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة
اليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس فهم
يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع باتفاق
الائمة فكره مالك ان يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف
الصلاة عليه والسلام فان ذلك مما امر الله به اما لفظ الزيارة
في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى الا ترى الى
قوله فزوروا القبور فانها تذكركم الاخرة مع زيارته لقبر امه
فان هذا يتناول قبور الكفار فلا يفهم من ذلك زيارة الميت
لدعائه وسؤاله والاستغاثة به ونحو ذلك مما يفعله اهل الشرك
والبدع بخلاف ما اذا كان المزور معظما في الدين كالانبياء

والصالحين

والصالحين فانه كثيرا ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية
الشركية فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا وان لم يكره ذلك في موضع اخر
ليس فيه هذه المفسدة انتهى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستعذ
الا مما يخاف وقوعه ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولابن جرير بسنده
عن سفيان عن منصور عن مجاهد افرأيتم اللات والعزى قال كان يلت
لهم السويق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس كان
يلت السويق للحاج قوله ولابن جرير هو الامام الحافظ محمد بن جرير
ابن يزيد الطبري صاحب التفسير والتاريخ والاحكام وغيرها
قال ابن خزيمة لا اعلم على وجه الارض اعلم من محمد بن جرير وكان
من المجتهدين لا يقلد احدا وله اصحاب يتفقهون على مذهبه يأخذون
باقواله ولد سنة اربع وعشرين ومائتين ومات ليومين بقيا
من شوال سنة عشر وثلاثمائة قوله عن سفيان الظاهر انه سفيان
ابن سعيد بن مسروق ابو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه
امام عابد كان مجتهدا وله اتباع يتفقهون على مذهبه مات
سنة احدى وستين ومائة وله اربع وستون سنة قوله عن
منصور هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه مات
سنة اثنتين وثلاثين ومائة قوله عن مجاهد هو ابن جبر بالجيم و
الموحدة ابو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة امام في التفسير
اخذه عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم مات سنة اربع و
مائة قاله يحيى القطان وقال ابن حبان مات سنة اثنتين او
ثلاث ومائة وهو ساجد ولد سنة احدى وعشرين في خلافة
عمر رضي الله عنه قوله كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره

في رواية فيطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه وقالوا هو اللات
رواه سعيد بن منصور ومناسبته للترجمة انهم غلوا فيه لصلاحه
حتى عبدوه وصار قبره وثنا من اوثان المشركين قوله وكذا قال
ابو الجوزاء هو اوس بن عبد الله الربعي بفتح الراء والباء مات
سنة ثلاث وثمانين قال البخاري حدثنا مسلم هو ابن ابرهيم
حدثنا ابو الاشهب حدثنا ابو الجوزاء عن ابن عباس قال
كان اللات يلت السويق للحاج قال ابن خزيمة وكذا
العزى وكانت شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطائف
وكانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى
ولا عزى لكم قوله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرج رواه اهل السنن قلت وفي الباب حديث ابي
هريرة وحديث حسان بن ثابت فاما حديث ابي هريرة فرواه
احمد والترمذي وصححه وحديث حسان اخرجه ابن ماجه
من رواية عبد الرحمن بن ثابت عن ابيه قال لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم زائرات القبور وحديث ابن عباس هذا في
اسناده ابو صالح مولى ام هانئ وقد ضعفه بعضهم ووثقه
بعضهم قال علي بن المديني عن يحيى القطان لم ار احدا من اصحابنا
ترك ابا صالح مولى ام هانئ وما سمعت احدا يقول فيه شيئا ولم (من الناسخ)
يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان قال ابن معين ليس
به باس ولهذا اخرجه ابن السكن في صحاحه انتهى من الذهب
الابريز عن الحافظ المزي قال شيخ الاسلام رحمه الله وقد
جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريقين فعن ابي هريرة رضي الله

عنه ان

عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور وفي
حديث ابن عباس شرحا لكن رجال هذا ليس رجال هذا فلم
ياخذه احدهما عن الاخر وليس في الاسنادين من يتهم بالكذب
ومثل هذا حجة بلا ريب وهذا من اجود الحسن الذي شرطه
الترمذي فانه جعل الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيه متهم
ولم يكن شاذا اي مخالفا لما ثبت بنقل الثقات وهذا الحديث
تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه احد من الثقات هذا
لو كان عن صاحب واحد فكيف اذا كان هذا رواه عن صاحب
وذاك عن آخر فهذا كله يبين ان الحديث في الاصل معروف
والذين رخصوا في الزيارة اعتمدوا على ما روي عن عائشة
رضي الله عنها انها زارت قبر اخيها عبد الرحمن وقالت لو شهدتك
ما زرتك وهذا يدل على ان الزيارة ليست مستحبة للنساء
كما تستحب للرجال اذ لو كان كذلك لاستحبت زيارته سواء
شهدته ام لا قلت فعلى هذا فلا حجة فيه لمن قال بالرخصة وهذا
السياق لحديث عائشة رواه الترمذي من رواية عبد الله
ابن ابي مليكة عنها وهو مخالف لسياق الاثرم له عن عبد الله
ابن ابي مليكة ايضا ان عائشة رضي الله عنها اقبلت ذات
يوم من المقابر فقلت لها يا ام المؤمنين اليس نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور قالت نعم نهى عن زيارة القبور ثم
امر بزيارتها فاجاب شيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن هذا
فقال ولا حجة في حديث عائشة فان المحتج عليها احتج بالنهي
العام فدفعت ذلك بان النهي منسوخ ولم يذكر لها المحتج النهي
الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة يبين ذلك قولها

قد امر بزيارتها فهذا يبين انه امر بها امرا يقتضي الاستحباب والاستحباب انما هو ثابت للرجال خاصة ولو كانت تعتقد ان النساء مامورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لاخيها لما زرتك واللعن صريح في التحريم والخطاب بالاذن في قوله فزوروها لم يتناول النساء فلم يدخل في الحكم الناسخ والعام اذا عرف انه بعد الخاص لم يكن ناسخا له عند جمهور العلماء وهو مذهب الشافعي واحمد في اشهر الروايتين عنه وهو المعروف عند اصحابه فكيف اذا لم يعلم ان هذا العام بعد الخاص اذ قد يكون قوله لعن الله زوارات القبور بعد اذنه للرجال في الزيارة يدل على ذلك انه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج ومعلوم ان اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنه محكم كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة وكذلك الاخر والصحيح ان النساء لم يدخلن في الاذن في زيارة القبور لعدة اوجه احدها ان قوله صلى الله عليه وسلم فزوروها صيغة تذكير وانما يتناول النساء ايضا على سبيل التغليب لكن هذا فيه قولان قيل انه يحتاج الى دليل منفصل وحينئذ فيحتاج تناول ذلك النساء الى دليل منفصل وقيل انه يحمل على ذلك عند الاطلاق وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف والعام لا يعارض الادلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور وما علمنا احدا من الائمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه

الراشدين

الراشدين يخرجن الى زيارة القبور ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم علل الاذن للرجال بان ذلك يذكر الموت ويرق القلب وتدمع العين هكذا في مسند الامام احمد ومعلوم ان المراة اذا فتح لها هذا الباب اخرجها الى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف وكثرة الجزع وقلة الصبر واذا كانت زيارة النساء مظنة وسببا للامور المحرمة فانه لا يمكن ان يحد المقدار الذي لا يفضي الى ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع ومن اصول الشريعة ان الحكمة اذا كانت خفية او منتشرة علق الحكم بمظنتها فيحرم هذا الباب سدا للذريعة كما حرم النظر الى الزينة الباطنة وكما حرم الخلوة بالاجنبية وغير ذلك وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة فانه ليس في ذلك الا دعاؤها للميت وذلك ممكن في بيتها ومن العلماء من يقول التشييع كذلك ويحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مازورات غير ماجورات فانكن تفتن الحي وتؤذين الميت وقوله لفاطمة اما انك لو بلغت معهم الكدى لم تدخلي الجنة ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من انه نهى النساء عن اتباع الجنائز ومعلوم ان قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان هو ادل على العموم من صيغة التذكير فان لفظ من يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس وقد علم بالاحاديث الصحيحة ان هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع الجنائز فاذا لم يدخلن في هذا العموم فكذلك تطريق الاولى انتفى ملخصا فلت وعن

ويكون الاذن في زيارة القبور مخصوصا بالرجال خص بقوله لعن الله زوارات القبور لحديث فيكون من العام المخصوص

في ذلكم لهم

كما استدل به القائلون بالنسخ اجيب ايضا منها ان ما ذكروه
عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارض بما ورد عنهما في
هذا الباب فلا يثبت به نسخ ومنها ان قول الصحابي وفعله ليس حجة
على الحديث بلا نزاع واما قول عائشة كيف تقول اذا زرت
القبور ونحو ذلك فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الاحاديث
الثلاثة من لعن زائرات القبور لاحتمال ان يكون ذلك
قبل النهي الاكيد والوعيد الشديد والله اعلم قال محمد بن اسمعيل
رحمه الله تعالى في كتابه تطهير الاعتقاد ولهذه القباب صارت
اعظم ذريعة الى الشرك والالحاد غالب من يعمرها الملوك
والسلاطين اما على قريب لهم او على من يحسنون الظن فيه
من فاضل او عالم وزهد الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات
من دون توسل به ولا هتف باسمه بل يدعو له ويستغفرون
له حتى ينقرض من يعرفه او اكثرهم فياتي من بعدهم فيرى قبرا
قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفرش
الفاخرة فيعتقد ان ذلك لنفع او دفع ضر وتاتيه السدنة
يكذبون على الميت بانه فعل وفعل وانزل بفلان الضر وبفلان
النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل والامر ما ثبت في الاحاديث
النبوية من لعن من سرج القبور وكتب عليها وبنى عليها واحاديث
ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة
الى مفسدة عظيمة انتهى ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة
والله اعلم قوله والمتخذين عليها المساجد والسرج تقدم
شرحه في الباب قبله قوله والسرج قال ابو محمد المقدسي لو ابيح
اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لان فيه تضييعا للمال

في غير

٨٧

في غير فائدة وافراط في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام وقال
ابن القيم رحمه الله تعالى اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها
من الكبائر قوله رواه اهل السنن يعني ابا داود والترمذي
وابن ماجه فقط ولم يروه النسائي قوله **باب ما جاء
في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
وسده كل طريق يوصل الى الشرك** الجناب هو الجانب
والمراد حمايته عما يقرب منه او يخالطه من الشرك واسبابه قوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الاية قال ابن كثير رحمه الله تعالى يقول
تعالى ممتنا على المؤمنين بما ارسل اليهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم
وعلى لغتهم كما قال ابرهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اي منكم كما قال جعفر بن
ابي طالب للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى ان الله بعث
فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه
وامانته وذكر الحديث وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن
ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شيء
من ولادة الجاهلية وقوله عزيز عليه ما عنتم اي يعز عليه الشيء الذي
يعنت امته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق
عنه بعثت بالحنيفية السمحة وفي الصحيح ان هذا الدين يسر وكلها صح
شريعته سمحة سهلة كاملة يسيرة على من يسرها الله عليه قوله حريص
عليكم اي على هدايتكم وايصال النفع الدنيوي والاخروي
اليكم وعن ابي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء الا ذكر لنا منه علما

اخرجه الطبراني قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي
شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بينته لكم قوله
بالمؤمنين رؤوف رحيم كما قال تعالى واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وهكذا
امره تعالى في هذه الاية الكريمة قلت فاقتضت هذه الاوصاف
التي وصف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حق امته ان انذرهم و
حذرهم الشرك الذي هو اعظم الذنوب وبين لهم ذرائعه
الموصلة اليه وابلغ في نهيهم عنها ومن ذلك تعظيم القبور والغلو
فيها والصلوة عندها واليها ونحو ذلك مما يوصل لعبادتها
كما تقدم وسيأتي في احاديث الباب قوله وعن ابي هريرة رضي كما م
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا ~~[illegible]~~ بيوتكم
قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
حيث كنتم رواه ابو داود باسناد حسن ورواته ثقات قوله
لا تجعلوا بيوتكم قبورا قال شيخ الاسلام اي لا تعطلوها من
الصلوة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فامر
بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما
يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الامة
وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم
ولا تتخذوها قبورا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعا لا تجعلوا
بيوتكم مقابر فان الشيطان يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة
البقرة تقرا فيه قوله ولا تجعلوا قبري عيدا قال شيخ الاسلام
رحمه الله العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه

معتاد

معتاد عائدا اما بعود السنة او بعود الاسبوع او الشهر و
نحو ذلك وقال ابن القيم رحمه الله تعالى العيد ما يعتاد مجيئه وقصده
من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد فاذا كان اسما
للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع والانتياب للعبادة او
لغيرها كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر
جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة كما جعل ايام العيد فيها عيدا
وكان للمشركين اعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام
ابطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وايام منى
كما عوضهم عن اعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة
وعرفة والمشاعر قوله وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث
كنتم قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى يشير بذلك الى ان ما
ينالني منكم من الصلوة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم
فلا حاجة بكم الى اتخاذه عيدا انتهى قوله وعن علي بن الحسين
رضي الله عنه انه راى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال الا احدثكم حديثا
سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وسلموا علي فان تسليمكم يبلغني اين
كنتم رواه في المختارة هذا الحديث والذي قبله جيدان
حسنا الاسنادين اما الاول فرواه ابو داود وغيره من حديث
عبد الله بن نافع الصائغ قال اخبرني ابن ابي ذئب المقبري عن سعيد م
عن ابي هريرة فذكره ورواته ثقات مشاهير لكن عبد الله بن
نافع قال فيه ابو حاتم الرازي ليس بالحافظ تعرف وتنكر

قال ابن معين هو ثقة وقال ابو زرعة لا باس به قال شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى ومثل هذا اذا كان لحديثه شواهد علم انه محفوظ
وهذا جيد الاسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها الى
درجة الصحة واما الحديث الثاني فرواه ابو يعلى والقاضي اسماعيل
والحافظ الضياء في المختارة قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فانظر
هذه السنة كيف مخرجها من اهل المدينة واهل البيت الذين لهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لانهم
الى ذلك احوج من غيرهم فكانوا له اضبط انتهى وقال سعيد بن
منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل بن
ابي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال
هلم الى العشاء فقلت لا اريده فقال مالي رايتك عند القبر فقلت
سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا
تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما
كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
ما انتم ومن بالاندلس الا سواء وقال سعيد ايضا حدثنا
حبان بن علي قال حدثنا محمد بن عجلان عن ابي سعيد مولى
المهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا
ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني قال شيخ الاسلام
فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث
لا سيما وقد احتج به من ارسله وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو

لم يرو

لم يرو من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندا
قوله عن علي بن الحسين اي ابن علي بن ابي طالب المعروف بزين
العابدين رضي الله عنه افضل التابعين من اهل بيته واعلمهم
قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه مات سنة ثلاث وتسعين
على الصحيح وابوه الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته
حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد يوم عاشوراء سنة احدى
وستين وله ست وخمسون سنة رضي الله عنه **قوله** انه راى رجلا
يجيء الى فرجة بضم الفاء وسكون الراء وهي الكوة في الجدار
والخوخة ونحوهما **قوله** فيدخل فيها فيدعو فنهاه هذا يدل على
النهي عن قصد القبور والمشاهد لاجل الدعاء والصلاة
عندها قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ما علمت احدا رخص
فيه لان ذلك نوع من اتخاذه عيدا ويدل ايضا على ان قصد
القبر للسلام اذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه لان ذلك لم يشرع
وكره مالك لاهل المدينة كلما دخل الانسان المسجد ان ياتي
قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال
ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها وكان الصحابة و
التابعون رضي الله عنهم ياتون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلون فاذا قضوا الصلاة قعدوا او خرجوا ولم يكونوا
ياتون القبر للسلام لعلمهم ان الصلاة والسلام عليه في
الصلاة اكمل وافضل واما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام
عليه هناك او للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم في قوله لا
تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني فبين ان

ابن ابي صالح خ

ان الصلوة تصل اليه من بعد وكذلك السلام ولعن من اتخذ
قبور الانبياء مساجد وكانت الحجرة في زمانهم يدخل اليها
من الباب اذ كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك الى ان
بني الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا
لا يدخلون اليه لا للسلام ولا للصلوة ولا للدعاء لانفسهم ولا
لغيرهم ولا لسؤال عن حديث او علم ولا كان الشيطان يطمع
فيهم حتى يسمعهم كلاما او سلاما فيظنون انه هو كلمهم و
افتاهم وبين لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام
بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فاضلهم
عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يامرهم وينهاهم
ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه
خارجا من القبر ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت تكلمهم
وان روح الميت تجسدت لهم فراوها كما راهم النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج والمقصود ان الصحابة لم يكونوا
يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم
من الخلوف وانما كان يأتي من خارج فيسلم عليه اذا قدم بعضهم
من سفر كما كان ابن عمر يفعله قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان
ابن عمر اذا قدم من سفر اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك اتى
يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه
ثم ينصرف قال عبيد الله ما نعلم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فعل ذلك الا ابن عمر وهذا يدل على انه لا يقف عند القبر
للدعاء

للدعاء اذا سلم كما يفعله كثير قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى
لان ذلك لم ينقل عن احد من الصحابة فكان بدعة محضة وفي
المبسوط قال مالك لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم
ويمضي ونص احمد انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره
لئلا يستدبره وبالجملة فقد اتفق الائمة على انه اذا دعى لا
يستقبل القبر وتنازعوا هل يستقبله عند السلام عليه ام لا و
في الحديث دليل على منع شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم والى قبر غيره
من القبور والمشاهد لان ذلك من اتخاذها اعيادا بل من
اعظم اسباب الاشراك باصحابها وهذه المسالة التي افتى
فيها شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء
والصالحين ونقل فيها اختلاف العلماء فمن مبيح لذلك كالغزالي
وابي محمد المقدسي ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وابي
محمد الجويني والقاضي عياض وهو قول الجمهور نص عليه مالك
ولم يخالفه احد من الائمة وهو الصواب لما في الصحيحين
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا
الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد
فاما ان يكون نهيا واما ان يكون نفيا وجاء في رواية بصيغة
النهي فتعين ان يكون للنهي ولهذا فهم منه الصحابة رضي الله
عنهم المنع كما في الموطا والسنن عن بصرة بن ابي بصرة الغفاري

انه قال لابي هريرة وقد اقبل من الطور لو ادركتك قبل ان تخرج
اليه لما خرجت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعمل
المطي الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وروى الامام احمد وعمر بن شبة في اخبار المدينة باسناد
جيد عن قزعة قال اتيت ابن عمر فقلت اني اريد الطور فقال
انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة
والمسجد الاقصى فدع عنك الطور ولا تأته فابن عمر وبصرة
ابن ابي بصرة جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال اليه لان
اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها الى غير الثلاثة مما
يقصد به القربة فعلم ان المستثنى منه عام في المساجد و
غيرها وان النهي ليس خاصا بالمساجد ولهذا نهيا عن
شدها الى الطور مستدلين بهذا الحديث والطور انما يسافر
من يسافر اليه لفضيلة البقعة فان الله سماه الوادي المقدس
والبقعة المباركة وكلم كليمه موسى عليه السلام هناك وهذا
هو الذي عليه الائمة الاربعة وجمهور العلماء ومن اراد
بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه
شيخ الاسلام مجيبا لابي الاخنائي فيما اعترض به على ما دلت
عليه الاحاديث واخذ به العلماء وقياس الاولى لان المفسدة الصحيح
في ذلك ظاهرة واما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة
فغاية ما فيها انها لا مصلحة في ذلك ~~ظاهرة واما النهي~~ توجب
شد الرحال ولا من يدعو اليه وقد بسط القول في ذلك
محمد بن

محمد بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي
وذكر فيه علل الاحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر هو وشيخ الاسلام رحمهما الله تعالى انه لا يصح منها
حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من اصحابه مع
انها لا تدل على محل النزاع اذ ليس فيها الا مطلق الزيارة
وذلك لا ينكره احد بدون شد الرحال فيحمل على الزيارة
الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة قوله رواه في المختارة
المختارة كتاب جمع فيه مؤلفه الاحاديث الجياد الزائدة على
الصحيحين ومؤلفه هو ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد
المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي احد الاعلام قال
الذهبي افنى عمره في هذا الشان مع الدين المتين والورع
والفضيلة التامة والاتقان فالله يرحمه ويرضى عنه وقال
شيخ الاسلام تصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب
مات سنة ثلاث واربعين وستمائة قوله **باب ما جاء** بلغ مقابلة
ان بعض هذه الامة تعبد الاوثان وقول الله تعالى الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
الوثن يطلق على كل ما قصد بنوع من انواع العبادة من دون
الله من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل عليه السلام
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا مع قوله
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين وقوله اتعبدون ما تنحتون

فبذلك تعلم ان الوثن يطلق على الاصنام وغيرها مما عبد من دون
الله كما تقدم في الحديث وقوله يؤمنون بالجبت والطاغوت
وروى ابن ابي حاتم عن عكرمة قال جاء حيي بن اخطب وكعب
ابن الاشرف الى اهل مكة فقالوا لهم انتم اهل الكتاب الاول
واهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ما انتم وما محمد فقالوا
نحن نصل الارحام وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك
العناة ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه
سراق الحجيج من غفار فنحن خير ام هو فقالوا انتم خير و
اهدى سبيلا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وفي مسند احمد
عن ابن عباس نحوه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجبت السحر
والطاغوت الشيطان وكذا قال ابن عباس وابو العالية و
مجاهد والحسن وغيرهم وعن ابن عباس وعكرمة وابي
مالك الجبت الشيطان زاد ابن عباس بالحبشية وعن ابن عباس
ايضا الجبت الشرك وعنه الجبت الاصنام وعنه الجبت حيي بن
اخطب وعن الشعبي الجبت الكاهن وعن مجاهد الجبت كعب
ابن الاشرف قال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك قال المص رحمه الله تعالى وفيه معرفة
الايمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو

اعتقاد

اعتقاد قلب او موافقة اصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها
قوله وقول الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وعبد الطاغوت يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد
هل اخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا انتم
ايها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه الله اي
ابعده من رحمته وغضب عليه اي غضبا لا يرضى بعده ابدا
وجعل منهم القردة والخنازير وقد قال الثوري عن علقمة بن
مرثد عن المغيرة بن عبد الله عن المعرور بن سويد عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة و
الخنازير اهي مما مسخ الله فقال ان الله لم يهلك قوما فيجعل
لهم نسلا ولا عاقبة وان القردة والخنازير كانت قبل
ذلك رواه مسلم قال البغوي في تفسيره قل يا محمد هل انبئكم اخبركم
بشر من ذلك يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله افانبئكم
بشر من ذلكم النار وقوله مثوبة ثوابا وجزاء نصب على التفسير عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير يعني القردة
اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى وعن علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت
فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد

الطاغوت أي جعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان
فيما سوّل له وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وقرأ حمزة
وعَبُدَ الطاغوتِ بضم الباء وجر التاء أراد العبد وهما لغتان
عَبْد بجزم الباء وعَبُد بضمها مثل سَبْع وسَبُع وقرأ الحسن وعَبْدَ
الطاغوت على الواحد وفي تفسير الطبرسي قرأ حمزة وحده
وعَبُدَ الطاغوتِ بضم الباء وجر التاء والباقون
وعبد الطاغوت بنصب الباء وفتح التاء وقرأ ابن عباس
وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب
وعُبُدَ الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض
التاء قال وحجة حمزة في قراءته وعَبُدَ الطاغوت أنه يحمله على
ما عمل فيه جعل كأنه قال وجعل منهم من عبد الطاغوت ومعنى
جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وليس عبد لفظ
جمع لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه
واحد يراد به الكثرة ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة
إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع كما في قوله
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولأن بناء فَعُل يراد به
المبالغة والكثرة نحو يَقُظ ودَنُس وكأن تقديره أنه قد ذهب
في عبادة الطاغوت كل مذهب وأما من فتح فقال وعبدَ
الطاغوت فإنه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة وهو
قوله لعنه الله وأفرد الضمير في عبد وإن كان المعنى فيه الكثرة

لأن

لأن الكلام محمول على لفظ دون معناه وفاعله ضمير
من كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير من فأفرد لحمله ذلك
جميعا على اللفظ وأما قوله عُبُد الطاغوت فهو جمع عَبْد وقال
أحمد بن يحيى عُبُد جمع عابد كبازل وبُزُل وشارف وشُرُف
وكذلك عَبَد جمع عابد ومثله عُبّاد وعِباد انتهى وقال شيخ
الإسلام في قوله وعبد الطاغوت الصواب أنه معطوف على ما
قبله من الأفعال أي من لعنه وغضب عليه ومن جعل منهم القردة
والخنازير ومن عبد الطاغوت [illegible] الأفعال المتقدمة الفاعل
فيها اسم الله تعالى مظهرا أو مضمرا وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت
وهو الضمير في عبد ولم يعد سبحانه من لأنه جعل هذه الأفعال
صفة لصنف واحد وهم اليهود قوله أولئك شر مكانا
مما تظنون بنا وأضل عن سواء السبيل وهذا من باب استعمال
أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر منه مشاركة كقوله أصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا [illegible] كثير في
تفسيره وهو ظاهر قوله قال الذين غلبوا على أمرهم
لنتخذن عليهم مسجدا والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد
موتهم ما يذم فاعله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد أراد
تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم قوله عن أبي سعيد رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان

قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اخرجاه
بهذا السياق ومسلم قوله سنن بفتح المهملة اي طريق من كان
قبلكم قال المهلب والفتح اولى قوله حذو القذة بالقذة
بنصب حذو على المصدر والقذة بضم القاف وفتح
الذال هو ريش السهم اي لتتبعن طرقهم في كل ما فعلوه
وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الاخرى
فوقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبهذا تظهر مناسبة الايات
للترجمة وقد وقع ما اخبر به وهو من اعلام النبوة قوله
حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وفي حديث اخر حتى
لو كان فيهم من ياتي امه علانية لكان في امتي من يفعل ذلك
اراد صلى الله عليه وسلم ان امته لا تدع شيئا مما كان يفعله اليهود و
النصارى الا فعلته كله لا تترك منه شيئا ولهذا قال سفيان
ابن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد
من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى قلت فما اكثر الفرقتين
لكن من رحمة الله تعالى ونعمته ان جعل هذه الامة لا تجتمع على ضلالة
كما في حديث ثوبان الاتي قريبا قوله قالوا يا رسول الله
اليهود والنصارى قال فمن هو برفع اليهود خبر مبتدا محذوف
اي هم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم ويجوز النصب بفعل
محذوف تقديره تعني قوله فمن استفهام انكار اي فمن هم — تقرير
غير اولئك

غير اولئك قوله ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر
والابيض واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة بعامة وان لا يسلط — لامتي
عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال
يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا
اهلكها بسنة بعامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى
انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى
يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ورواه البرقاني
في صحيحه وزاد وانما اخاف على امتي الائمة المضلين واذا وقع
عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى
يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان
وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي
وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من امتي
على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله تبارك — ولا من خالفهم
وتعالى هذا الحديث رواه ابو داود في سننه وابن ماجه
بالزيادة التي ذكرها المص قوله عن ثوبان هو مولى النبي صلى الله
صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين
قوله زوى لي الارض قال التوربشتي زويت الشيء جمعته و
قبضته يريد تقريب البعيد منها

حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب وحاصله انه طوى له الارض
وجعلها مجموعة كهيئة كف في مراة ينظره قال الطيبي اي
جمعها لي حتى ابصرت ما تملكه امتي من اقصى المشارق والمغارب
منها قوله وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها قال القرطبي هذا بلغ مقابلة
الخبر وجد مخبره كما قال وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك
ان ملك امته اتسع الى ان بلغ اقصى طنجة بالنون والجيم الذي
هو منتهى عمارة المغرب الى اقصى المشرق مما وراء خراسان
والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصغد ولم يتسع ذلك
الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولهذا لم يذكر عليه
السلام ان ملك امته يبلغه قوله زوي لي منها يحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وان يكون للمفعول قوله واعطيت الكنزين الاحمر
والابيض قال القرطبي يعني بها كنز كسرى وهو ملك الفرس وقيصر
كنز قيصر هو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد قال صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله
وعبر بالاحمر عن كنز قيصر لان الغالب عندهم كان الذهب وبالابيض
عن كنز كسرى لان الغالب عندهم كان الجوهر والفضة ووجد
ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فانه سيق اليه تاج كسرى وحليته
وما كان في بيوت امواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها
وكذلك فعل الله بقيصر والابيض والاحمر منصوبان على البدل قوله
واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة بعامة هكذا ثبت
في اصل

في اصل المص رحمه الله تعالى بعامة بالباء وهي رواية صحيحة في
صحيح مسلم وفي بعضها بحذفها قال القرطبي وكانها زائدة لان
عامة صفة لسنة والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام
ويسمى الجدب والقحط سنة ويجمع على سنين كما قال تعالى ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين اي الجدب المتوالي قوله من سوى
انفسهم اي من غيرهم من الكفار من الهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم
بعضا كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل والى زماننا هذا نسال
الله العفو والعافية قوله فيستبيح بيضتهم قال الجوهري
بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون
معنى الحديث ان الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين
حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والارض ولو اجتمع عليهم
من باقطارها الارض وهي جوانبها وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم
قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا
والظاهر ان حتى عاطفة او تكون لانتهاء الغاية اي ان امر الامة
ينتهي الى ان يكون بعضهم يهلك بعضا الحديث وقد سلط
بعضهم على بعض كما هو الواقع وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم
قوله وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد قال
بعضهم اي اذا حكمت حكما مبرما نافذا فانه لا يرده شيء ولا
يقدر احد على رده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا راد لما قضيت
قوله رواه البرقاني في صحيحه هو الحافظ الكبير ابو محمد احمد

ابن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ست وثلث ثلثمائة ومات سنة خمس وعشرين واربعمائة قال الخطيب كان ثبتا ورعا عالما لم نر في شيوخنا اثبت منه عارفا بالفقه كثير التصانيف صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة قوله و انما اخاف على امتي الائمة المضلين اي الامراء والعلماء والعباد يحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وكان بعض هؤلاء يقول لاصحابه من كان له حاجة فليات الى قبري فاني اقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب او نحو هذا وهذا هو الضلال البعيد بل يدعو صاحبه الى ان يعبد ويدعى من دون الله ويسال في قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم وقد قال تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه الاية وقال تعالى واتخذوا من دون الله الهة الاية الى قوله ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية وامثال هذا في القران كثير يبين تعالى الهدى من الضلال ومن هذا الضرب من يدعي انه يصل مع الله حال تسقط عنه التكاليف ويدعي ان الاولياء يعرفون او يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم وانهم ينفعون

ويفزعون

ويضرون ويدبرون الامور على سبيل الكرامة وانهم يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم اسرار الناس ومن في ضمائرهم ويجوزون بناء المساجد على قبور الانبياء والصالحين وايقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والافراط والعبادة لغير الله فما اكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله وكتابه ورسوله قوله صلى الله عليه وسلم وانما اخاف على امتي الائمة المضلين اتى بانما التي قد تاتي للحصر بيانا لشدة خوفه على امته من ائمة الضلال وما وقع في خلد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لا لما اطلعه الله عليه من غيبه انه سيقع نظيرها في الحديث لتتبعن سنن من كان قبلكم الحديث ونحو هذا مما في كتاب صراط المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين فكل من احدث حدثا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو ملعون وعمله مردود كما قال صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا وقال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل هذه احاديث صحيحة وهذا من اصول الدين واحكامه على هذه الاحاديث ونحوها وقد بين الله تعالى هذا الاصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء الاية

وقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها الاية ونظائرها
في القرآن كثيرة وعن زياد بن حدير قال قال لي عمر رضي الله عنه
هل تعرف ما يهدم الاسلام قلت لا قال يهدمه زلة العالم و
جدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين رواه الدارمي
وقال يزيد بن عميرة كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس
مجلسا للذكر الا يقول الله حكم قسط هلك المرتابون وفيه
فاحذروا زيغة الحكيم فان الشيطان قد يقول الضلالة
على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق قلت لمعاذ وما
يدريني رحمك الله ان الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وان المنافق
قد يقول كلمة الحق قال فقال لي اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات
التي يقال لها ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فانه لعله ان يراجع
الحق وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نورا رواه ابو داود
وعنه قوله واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيمة وكذلك
وقع فان السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع وكذلك
يكون الى يوم القيمة ولكن قد يكثر تارة ويقل اخرى قوله ولا
تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين الحي واحد الاحياء
وهي القبائل وفي رواية ابي داود حتى يلحق قبائل من امتي
بالمشركين والمعنى انهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم
عن الاسلام ويلحقوهم باهل الشرك قوله وحتى تعبد فئام من
امتي الاوثان

امتي الاوثان الفئام مهموز الجماعات الكثيرة قاله ابو السعادات
وفي رواية ابي داود وحتى تعبد قبائل من امتي الاوثان
وهذا هو شاهد الترجمة ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد
القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم
الاوثان وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما ينافيه من الشرك
والتنديد فالتوحيد هو اعظم مطلوب والشرك هو اعظم
الذنوب وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين عن ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات
نساء دوس على ذي الخلصة قال وذو الخلصة طاغية دوس
التي كانوا يعبدون في الجاهلية وروى ابن حبان عن معمر قال
ان عليه الآن بيتا مبنيا مغلقا قال العلامة ابن القيم
رحمه الله تعالى في قصة هدم اللات لما اسلمت ثقيف فيه
انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة
على هدمها وابطالها يوما واحدا وكذلك حكم المشاهد
التي بنيت على القبور والتي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله
والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز ابقاء شيء منها
على وجه الارض مع القدرة على ازالتها وكثير منها بمنزلة اللات
والعزى ومناة او اعظم شركا عندها وبها فاتبع هؤلاء
سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة
وغلب الشرك على اكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم
وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة

وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء
وغلب السفهاء وتفاقم الامر واشتد الباس وظهر الفساد في
البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ولكن لا تزال الطائفة من العصابة
المحمدية بالحق قائمين ولاهل الشرك والبدع مجاهدين
الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين انتهى ملخصا
قلت فاذا كان هذا في القرن السابع وقبله فما بعده اعظم
فسادا قوله انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم
انه نبي قال القرطبي وقد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي كذابون دجالون
سبع وعشرون منهم اربع نسوة اخرجه ابو نعيم وقال هذا
حديث غريب انتهى وحديث ثوبان اصح من هذا قال القاضي
عياض عد من تنبأ من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الان
ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة يوجد هذا على ضلاله صح
العدد فيهم ومن طالع كتب الاخبار والتواريخ عرف صحة هذا
وقال الحافظ ابو نعيم قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة والاسود العنسي
باليمن وفي خلافة ابي بكر طليحة بن خويلد في بني اسد بن خزيمة
وسجاح في بني تميم وقتل الاسود قبل ان يموت النبي صلى الله عليه وسلم
وقتل مسيلمة في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وتاب طليحة
ومات على الاسلام في زمن عمر رضي الله عنه ونقل
سجاح

ان سجاح تابت ايضا ثم خرج المختار بن ابي عبيد الثقفي و
غلب على الكوفة في اول خلافة ابن الزبير واظهر محبة اهل البيت
ودعى الناس الى طلب قتلة الحسين فقتل كثيرا ممن باشر ذلك
واعان عليه فاحبه الناس ثم انه ادعى النبوة وزعم ان جبريل
عليه السلام ياتيه ومنهم الحارث الكذاب الذي خرج في
خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بني
العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا
فانهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشا عن جنون او
سوداء وانما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة لمن
وصفنا وقد اهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم وبقي من يلحقه
باصحابه واخرهم الدجال الاكبر قوله وانا خاتم
النبيين قال الحسن الخاتم الذي ختم به يعني انه اخر النبيين
كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين وانما ينزل عيسى بن مريم في اخر الزمان
حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته فهو كاحد
امته بل هو افضل هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لينزلن فيكم بن مريم حكما مقسطا فليكسرن
الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية قوله ولا
تزال طائفة من امتي على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم

ولا من خالفهم قال يزيد بن هرون واحمد بن حنبل ان لم
يكونوا اهل الحديث فلا ادري مَنْ هُمْ قال بن المبارك وعلي
ابن المديني واحمد بن سنان والبخاري وغيرهم انهم اهل
الحديث وعن ابن المديني رواية انهم العرب واستدل برواية
من روى هم اهل الغرب وفسر الغرب بالدلو العظيمة لان
العرب هم الذين يستقون بها قال النووي يجوز ان تكون
الطائفة جماعة متعددة من انواع المؤمنين ما بين شجاع
وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين
في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم
في اقطار الارض ويجوز ان يجتمعوا في البلد الواحد
وان يكونوا في بعض دون بعض منه ويجوز اخلاء الارض
من بعضهم اولا فاولا الى ان لا يبقى الا فرقة واحدة
ببلد واحد فاذا انقرضوا جاء امر الله انتهى ملخصا مع زيادة
فيه قال الحافظ قال القرطبي وفيه دليل على ان الاجماع حجة
لان الامة اذا اجتمعت فقد دخلت فيهم الطائفة المنصورة
قال المص رحمه الله وفيه الاية العظيمة انهم مع قلتهم لا يضرهم
خذلهم ولا من خالفهم وفيه البشارة بان الحق لا يزول بالكلية
قلت واحتج به الامام احمد على ان الجهاد لا ينقطع
ما دامت هذه الطائفة موجودة قوله حتى ياتي امر الله

الظاهر

الظاهر ان المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح
الطيبة ووقوع الايات العظام ثم لا يبقى الا شرار الناس
كما روى الحاكم ان عبد الله بن عمرو قال لا تقوم الساعة حتى
الا على شرار الخلق هم شر اهل الجاهلية فقال عقبة بن عامر
لعبد الله اعلم ما تقول واما انا فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لا تزال عصابة من امتي يقاتلون على امر الله ظاهرين لا يضرهم
من خالفهم حتى تاتيهم الساعة وهم على ذلك قال عبد الله ويبعث
الله ريحا ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك احدا
في قلبه مثقال ذرة من الايمان الا قبضته ثم يبقى شرار الناس
فعليهم تقوم الساعة وفي صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى
لا يقال في الارض الله الله وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث
عقبة وما اشبهه حتى تاتيهم ساعتهم وهي وقت
موتهم بهبوب الريح ذكره الحافظ وقد اختلف في محل هذه
الطائفة فقال ابن بطال انها تكون في بيت المقدس كما رواه
الطبراني من حديث ابي امامة قيل رسول الله واين هم
قال ببيت المقدس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه هم بالشام
وفي كلام الطبري ما يدل على انه لا يجب ان تكون في الشام
او في بيت المقدس دائما بل قد تكون في موضع آخر في بعض
الازمنة قلت ويشهد له الواقع وحال اهل الشام واهل

وكان هذا من هذا الحديث علم من اعلام النبوة فانه كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقع كما اخبر صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث

بيت المقدس من ازمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام فيهم بهذا الامر
بعد شيخ الاسلام بن تيمية رضي الله عنه واصحابه في القرن
السابع واول الثامن فانهم في زمانهم على الحق يدعون
اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه وقد يجيء من امثالهم بعد
بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك بالسنة
والله على كل شيء قدير ومما يؤيد هذا ان اهل الحق والسنة
في زمن الائمة الاربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان و
قبله وبعده لم يكونوا في محل واحد بل هم في غالب الامصار في
الشام منهم ائمة وفي الحرمين وفي مصر وفي العراق واليمن و
كلهم على الحق يناضلون ويجاهدون اهل البدع ولهم
المصنفات التي صارت اعلاما لاهل السنة وحجة على كل
مبتدع فعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق و
قد تكون في بالشام وقد تكون في غيره فان حديث ابي امامة
وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام وانما يفيد انها تكون في
الشام في بعض الازمان لا كلها وقوله تبارك وتعالى قال ابن
القيم رحمه الله تعالى البركة نوعان احدهما بركة هي فعله و
الفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وباداة على تارة وباداة
في تارة والمفعول منها مبارك وهو ما جعل منها كذلك فكان
مباركا بجعله تعالى والنوع الثاني بركة تضاف اليه اضافة

الرحمة

الرحمة والعزة والفعل منها تبارك ولهذا لا يقال لغيره ذلك
ولا يصلح الا له عز وجل فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله
المبارك كما قال المسيح عليه السلام وجعلني مباركا اينما كنت
فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك واما صفته تبارك فمختصة
به كما اطلقها على نفسه في قوله تبارك الله رب العالمين تبارك
الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير افلا تراها كيف
اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره
وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوه
فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو
ونهايته فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها
وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك تعاظم وقال ابن
عباس رضي الله عنهما جاء بكل بركة باب ما جاء في
السحر اي والكهانة السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف
سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان لسحرا وسمي
السحر سحرا لانه يقع خفيا آخر الليل قال ابو محمد المقدسي في
الكافي السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والابدان
فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال الله تعالى فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقال سبحانه ومن
شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي يعقدن

في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا ان السحر حقيقة
لم يامر بالاستعاذة منه وعن عائشة رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه ليخيل اليه انه يفعل الشيء و
ما يفعله وانه قال لها ذات يوم اتاني ملكان فجلس احدهما
عند راسي والاخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل قال مطبوب
قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة في
جف طلعة ذكر في بئر ذروان رواه البخاري وقال الله
تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق قال ابن
عباس من نصيب قال قتادة وقد علم اهل الكتاب فيما عهد
اليهم ان الساحر لا خلاق له في الاخرة وقال الحسن ليس
له دين فدلت الاية على تحريم السحر وكذلك هو محرم في
جميع اديان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ولا يفلح الساحر
حيث اتى وقد نص اصحاب احمد انه يكفر بتعلمه وتعليمه وروى
عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تعلم شيئا من السحر قليلا كان او كثيرا كان آخر
عهده من الله وهو مرسل واختلفوا هل يكفر الساحر ام لا فذهب
طائفة من السلف الى انه يكفر وبه قال مالك وابو حنيفة واحمد
قال اصحابه الا ان يكون سحره بادوية وتدخين وسقي شيء يضر
فلا يكفر وقال الشافعي اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان

وصف

وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب
الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وان
كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته كفر انتهى وقد سماه الله
كفرا بقوله انما نحن فتنة فلا تكفر وقوله وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا قال ابن عباس في قوله انما نحن فتنة فلا تكفر
وذلك انهما علما الخير والشر والكفر والايمان فعرفا ان السحر
من الكفر قوله وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت تقدم الكلام
عليها في الباب قبله وفيه ان السحر من الجبت قاله المصنف رحمه الله قال
عمر رضي الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان هذا الاثر
رواه ابن ابي حاتم وغيره وقال جابر الطواغيت كهان كان
ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد هذا الاثر رواه
ابن ابي حاتم بنحوه مطولا عن وهب بن منبه قال سالت
جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي يتحاكمون اليها قال ان في
جهينة واحد وفي اسلم واحد وفي هلال واحد وفي كل حي
واحد وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين قوله قال
جابر هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري قوله الطواغيت
كهان اراد ان الكهان من الطواغيت فهو من افراد المعنى
قوله كان ينزل عليهم الشيطان اراد الجنس لا الشيطان
الذي هو ابليس خاصة بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم
ويخبرونهم بما يسترقون من السمع فيصدقون مرة ويكذبون مائة
قوله في كل حي واحد الحي واحد الاحياء وهم القبائل اي في كل

قبيلة كاهن يتحاكمون اليه ويسالونه عن الغيب وكذلك كان
الامر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فابطل الله ذلك بالاسلام
وحرست السماء بكثرة الشهب قوله وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع
الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله و
السحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربو
واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات كذا اورده المصنف رحمه الله غير
معزو وقد رواه البخاري ومسلم قوله اجتنبوا السبع
اي ابعدوا وهو ابلغ من قوله دعوا واتركوا لان النهي
عن القربان ابلغ كقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن قوله الموبقات بموحدة وقاف اي المهلكات وسميت
هذه موبقات لانها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب
عليها من العقوبات وفي الاخرة من العذاب وفي حديث
ابن عمر عند البخاري في الادب المفرد والطبري في التفسير
وعبد الرزاق مرفوعا وموقوفا قال الكبائر تسع وذكر السبعة
المذكورة والالحاد في الحرم وعقوق الوالدين ولابن
ابي حاتم عن علي قال الكبائر فذكر السبع الا مال اليتيم وزاد
العقوق والتعرب بعد الهجرة وفراق الجماعة ونكث الصفقة
قال الحافظ ويحتاج عند هذا الى الجواب عن الحكمة في الاقتصار

على سبع

على سبع ويجاب بان مفهوم العدد ليس بحجة وهو ضعيف
او بانه اعلم اولا بالمذكورات ثم اعلم بما زاد فيجب الاخذ
بالزائد او ان الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل
وقد اخرج الطبراني واسماعيل القاضي عن ابن عباس
انه قيل له الكبائر سبع قال هن اكثر من سبع وسبع وفي رواية
هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة قوله قال
الشرك بالله هو ان يجعل لله ندا يدعوه من دون الله ويرجوه
كما يرجو الله ويخافه كما يخاف الله وبدا به لانه اكبر ذنب عصي
الله به كما في الصحيحين عن ابن مسعود سالت النبي صلى الله عليه وسلم
اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
الحديث واخرج الترمذي بسنده عن صفوان بن عسال قال
قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال له صاحبه
لا تقل نبي انه لو سمعك لكان له اربع اعين فاتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات بينات فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربو ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا
الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود الا تعتدوا في السبت
فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الحديث وقال حسن صحيح
وقوله والسحر تقدم معناه وهذا وجه مناسبة هذا الحديث

خ اعظم

للشيخ قوله وقتل النفس التي حرم الله اي حرم قتلها الا بالحق
اي بان تفعل ما يوجب قتلها كالشرك والنفس بالنفس والزاني المحصن
الزنا بعد الاحصان قوله وقتل النفس التي حرم الله اي نفس المسلم
وقتل المعاهد كما في الحديث من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة
واختلف العلماء في من قتل مؤمنا متعمدا هل له توبة ام لا فذهب
ابن عباس وابو هريرة وغيرهما الى انه لا توبة له استدلالا بقوله
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قال ابن عباس
نزلت هذه الاية وهي اخر ما نزل وما نسخها شيء وفي رواية عنه لقد
نزلت في اخر ما انزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما نزل وحي وروي في ذلك آثار لما ذهب اليه كما
عند الامام احمد والنسائي وابن المنذر عن معاوية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره الا
الرجل يموت كافرا او الرجل يقتل مؤمنا متعمدا وذهب جمهور
الامة سلفا وخلفا الى ان القاتل له توبة فيما بينه وبين الله
فان تاب واناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات كما قال
تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون الى قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا
صالحا الاية قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا قال ابو هريرة وغيره هذا
جزاؤه ان جازاه وقد روي عن ابن عباس ما يدل على قول الجمهور
فروى عبد الرحمن بن حميد والنحاس عن سعيد بن عبيدة ان ابن

عباس

عن موسى عن محمد بن قيس ان يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين
من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم
لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء
آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون صورهم
المطر فعبدوهم قوله ان انصبوا هو بكسر الصاد المهملة قوله انصابا جمع نصب
والمراد به هنا الاصنام المصورة على صور اولئك الصالحين التي نصبوها
في مجالسهم وسموها باسمائهم وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على
ان الاصنام تسمى اوثانا فاسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله
سواء كان ذلك المعبود قبرا او مشهدا او صورة او غير ذلك قوله حتى
اذا هلك اولئك اي الذين صوروا تلك الاصنام قوله ونسي العلم ورواية
البخاري ونسخ العلم وللكشميهني ونسخ العلم اي درست آثاره
بذهاب العلماء وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك
فوقعوا في الشرك ظنا منهم انه ينفعهم عند الله قوله عبدت لما قال لهم
ابليس ان من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون الغيث
فهو الذي زين لهم عبادة الاصنام وامرهم بها فصار هو معبودهم
في الحقيقة كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك
وان كان القصد بها حسنا فان الشيطان ادخل اولئك في الشرك
من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم كما قد وقع مثل ذلك
في هذه الامة اظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين و
محبتهم ليوقعهم فيما هو اعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله وفي رواية
انهم قالوا ما عظمنا اولئك هؤلاء الا انهم يرجون شفاعتهم عند الله اي
يرجون شفاعة اولئك الصالحين الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم

وسموها باسمائهم ومن هنا يعلم ان اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم وطلبها
منهم شرك بالله كما تقدم في الايات المحكمات قوله قال ابن القيم وغير بيان حـ
واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال
عليهم الامد فعبدوهم قوله قال ابن القيم هو الامام العلامة محمد بن ابي بكر بن
ايوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية قال الحافظ السخاوي
العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الدليل
الجامع المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة
والمحاسن الجمة مات سنة احدى وخمسين وسبعمائة قوله قال غير واحد من
السلف هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير الا انه ذكر عكوفهم على
قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم وذلك من وسائل الشرك بل هو الشرك
لان العكوف في المساجد عبادة فاذا عكفوا على القبور صار عكوفهم
تعظيما ومحبة عبادة لها قوله ثم طال عليهم الامد فعبدوهم اي طال
عليهم الزمان وسبب تلك العبادة والموصل اليها ما جرى من الاولين من
التعظيم في العكوف على قبورهم ونصب صورهم في مجالسهم فصارت
بذلك اوثانا تعبد من دون الله كما ترجم به المصنف رحمه الله تعالى فانهم
تركوا بهذا الغلو دين الاسلام الذي كان اولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا
الشرك وكفروا بعبادة تلك الصور واتخذوهم شفعاء وهذا اول شرك
حدث في الارض قال القرطبي وانما صور اوائلهم الصور ليتأسوا
بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله
عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان ان
اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها انتهى قال ابن القيم
السهم حـ رحمه الله تعالى وما زال الشيطان يوحي الى عباد القبور ويلقي الي ان البناء
والعكوف عليها من محبة اهل القبور من الانبياء والصالحين وان الدعاء
عندها مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها

فان شان

فان شان الله اعظم من ان يقسم عليه او يسال باحد
من خلقه فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعائه
وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره
وثنا تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم
ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده فاذا تقرر ذلك عندهم
نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيدا
ومنسكا وراوا ان ذلك انفع لهم في دنياهم واخراهم
وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد
لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد
وان لا يعبد الا الله فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى ان
من نهى عن ذلك فقد تنقص اهل الرتب العالية وحطهم
عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر وغضب
المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى واذا ذكر الله
وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون وسرى ذلك
في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى
العلم والدين حتى عادوا اهل التوحيد ورموهم
بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا اهل الشرك و
عظموهم وزعموا انهم اولياء الله وانصار دينه ورسوله

ويأبى الله ذلك وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون
انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وفي القصة فوائد ذكرها
المص رحمه الله تعالى منها ان من فهم هذا الباب وما بعده وما بعده
تبين له غربة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب
العجب ومنها ان اول شرك حدث في الارض بسبب محبة الصالحين
اي المحبة التي فيها غلو ومنها معرفة اول شيء غير به
دين الانبياء ومنها معرفة سبب قبول البدع مع كون
الشرائع والفطرة تردها وان سبب ذلك كله مزج الحق تنكرها
بالباطل بامرين الاول محبة الصالحين والثاني فعل
اناس من اهل العلم والدين شيئا ارادوا به خيرا فظن من
بعدهم انهم ارادوا غيره ومنها معرفة جبلة الانسان
في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد اي في الغالب
ومنها ان فيه شاهدا لما نقل عن بعض السلف ان البدعة
سبب الكفر وانها احب الى ابليس من المعصية لان المعصية
قد يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ومنها معرفة الشيطان
بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل ومنها معرفة
القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه
من الشرك ومنها النهي عن التماثيل والحكمة في ازالتها
ومنها معرفة عظم شان هذه القصة وشدة الحاجة اليها

مع الغفلة

مع الغفلة عنها ومنها وهي العجب والعجب قراءتهم
اياها في كتب التفسير والحديث وكون الله حال بينهم وبين ومعرفتهم لمعنى الكلام
قلوبهم حتى اعتقدوا ان فعل قوم نوح هو افضل العبادات
واعتقدوا ان ما نهى الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال
يعني لو نهاهم ناه بنهي الله لهم عن الشرك لكفروه واستحلوا
دمه وماله ومنها التصريح بانهم لم يريدوا الا
الشفاعة ومنها ظنهم ان الذين صوروا الصور ارادوا ذلك
ومنها التصريح بانها لم تعبد حتى نسي العلم ففيها معرفة قدر
وجوده ومضرة فقده ومنها ان سبب فقد العلم موت العلماء
انتهى ومنها رد الشبه التي يسميها اهل الكلام عقليات و
يدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات
واثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومنها
مضرة التقليد ومنها ضرورة الامة الى ما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم علما وعملا بما يدل عليه الكتاب والسنة فان
ضرورة العبد الى ذلك فوق كل ضرورة قوله وعن عمر رض بلغ مقابلة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله اخرجاه
قوله عن عمر رض هو ابن الخطاب ابن نفيل بنون وفاء مصغرا
العدوي امير المؤمنين وافضل الصحابة بعد الصديق

رضي الله عنهم وولي الخلافة عشر سنين ونصفا فملأت الدنيا
عدلا وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر واستشهد في ذي
الحجة سنة ثلاث وعشرين رضي الله عنه قوله لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب
فيه قاله أبو السعادات وقال غيره أي لا تمدحوني بالباطل لا تجاوزوا
الحد في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فا
دعوا فيه الإلهية وإنما أنا عبد الله ورسوله فصفوني بذلك كما وصفني
ربي فقولوا عبد الله ورسوله فأبى المشركون إلا مخالفة أمره
وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه وناقضوه
أعظم مناقضة وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ووقعوا
في المحذور وجرى منهم من الغلو والشرك شعرا ونثرا ما يطول
عده وصنفوا فيه مصنفات وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن
بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم
في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف في ذلك مصنفا رده شيخ
الإسلام ورده موجود بحمد الله ويقول إنه يعلم مفاتيح الغيب
التي لا يعلمها إلا الله وذكر عنهم أشياء من هذا النمط نعوذ بالله
من عمى البصيرة وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله يا أكرم
الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم *
وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص طلب الدعاء واللياذ
والرجاء

والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله
فناقضوا الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتكاب ما نهى عنه أعظم
مناقضة وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة وذلك أن
الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وأظهر لهم التوحيد والإخلاص
الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه وهؤلاء المشركون
هم المتنقصون الناقصون أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم
عنه أشد النهي وفرطوا في متابعته فلم يعبأوا بأقواله و
أفعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وإنما يحصل تعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم أمره والاهتداء بهديه و ونهيه
اتباع سنته والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونصرته
وموالاة من عمل به ومعاداة من خالفه فعكس أولئك المشركون
ما أراده الله ورسوله علما وعملا وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله
فالله المستعان قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم
والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو هذا الحديث ذكره
المصنف بدون ذكر راويه وقد رواه الإمام أحمد والترمذي
وابن ماجه من حديث ابن عباس وهذا لفظ رواية أحمد عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم غداة جمع هلم القط لي فلقطت حصيات هي
حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال نعم بأمثال هؤلاء
فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من

كان قبلكم بالغلو في الدين قال شيخ الاسلام وهذا عام في جميع
انواع الغلو في الاعتقادات والاعمال وسبب هذا اللفظ العام
رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على انه
ابلغ من الرمي بالصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي
من كان قبلنا ابعادا عن الوقوع فيما هلكوا فيه وان
المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك قوله ولمسلم
عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلك المتنطعون
قالها ثلاثا قال الخطابي المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف
البحث عنه على مذاهب اهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين
فيما لا تبلغه عقولهم ومن التنطع الامتناع من المباح كالذي
يمتنع عن اكل اللحم والخبز ومن لبس الكتان والقطن ولا
يلبس الا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن ان هذا
من الزهد المستحب قال الشيخ تقي الدين فهذا جاهل ضال
انتهى وقال ابن القيم رحمه الله تعالى قال الغزالي المتنطعون
في البحث والاستقصاء وقال ابو السعادات هم المتعمقون
الغالون في الكلام المتكلمون باقصى حلوقهم ماخوذ من النطع
وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا
وقال النووي فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف
الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الاعراب في
مخاطبة العوام ونحوهم قوله قالها ثلاثا اي قال هذه الكلمة

ثلاث مرات

يطلقها

الى سائل

ثلاث مرات مبالغة في التعليم والابلاغ فقد بلغ البلاغ المبين
صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله وصحبه اجمعين باب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل
صالح فكيف اذا عبده اي الرجل الصالح فان عبادته
هي الشرك الاكبر وعبادة الله عنده وسيلة الى عبادته و
وسائل الشرك محرمة لانها تؤدي الى الشرك الاكبر و
هو اعظم الذنوب قوله في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
ان ام سلمة ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة راتها
بارض الحبشة وما فيها من الصور الحديث قوله في الصحيح
اي الصحيحين قوله ام سلمة هي هند بنت ابي امية بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية تزوجها
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابي سلمة سنة اربع وقيل ثلاث
وكانت قد هاجرت مع ابي سلمة الى الحبشة ماتت سنة
اثنتين وستين قوله ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيحين ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون معبد
النصارى قوله اولئك بكسر الكاف خطاب للمراة قوله اذا مات
فيهم الرجل الصالح او العبد الصالح هذا والله اعلم شك من
بعض رواة الحديث هل قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا او هذا
ففيه التحري في الرواية وجواز الرواية بالمعنى قوله صوروا
فيه تلك الصور الاشارة الى ما ذكرت ام سلمة وام حبيبة

من التصاوير التي في الكنيسة قوله اولئك شرار الخلق عند الله
وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور وقد لعن
من فعل ذلك كما سيأتي قال البيضاوي لما كانت اليهود و
النصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها
قبلة يتوجهون في الصلوة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم
النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وانما صوروا اوائلهم الصور
ليتأسوا بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم
ويعبدوا الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس
لهم الشيطان ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور
ويعظمونها فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية
الى ذلك قوله فهولاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور
وفتنة التماثيل الى آخره هذا من كلام شيخ الاسلام ابن
تيمية ذكره المص رحمه الله تنبيها على ما وقع من شدة الفتنة
بالقبور كالفتنة بالاصنام او اشد قال شيخ الاسلام رحمه الله
وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن
اتخاذ المساجد على القبور هي التي اوقعت كثيرا من الامم
اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك فان النفوس قد
اشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم الكواكب
ونحو ذلك فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه اقرب
الى النفوس من الشرك بخشبة او حجر ولهذا نجد اهل الشرك

بل فان الفتنة بالقبور

يتضرعون

١٠٨

يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون
قلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله و لا وقت السحر
ومنهم من يسجد لها واكثرهم يرجون من بركة الصلوة
عندها ما لا يرجون في المساجد فلاجل هذه المفسدة حسم — والدعاء
النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلوة في المقبرة
مطلقا وان لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد
بصلاته بركة المساجد كما نهى عن الصلوة وقت طلوع الشمس
وغروبها لانها اوقات يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس
ونهى امته عن الصلوة حينئذ وان لم يقصد ما قصده المشركون
سدا للذريعة واما اذا قصد الرجل الصلوة عند القبور
متبركا بالصلوة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله
ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله — ابتداع
فان المسلمين قد اجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول
صلى الله عليه وسلم ان الصلوة عند القبور منهي عنها وانه لعن
من اتخذها مساجد فمن اعظم المحدثات واسباب الشرك
الصلوة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد
عليها وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي
عن ذلك والتغليظ فيه وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن
بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة
وقد صرح اصحاب احمد وغيرهم من اصحاب مالك والشافعي

بتحريم ذلك وطائفة اطلقت الكراهة والذي ينبغي ان
تحمل على كراهة التحريم احسانا للظن بالعلماء وان لا
يظن بهم ان يجوزوا فعلها تواتر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه انتهى كلامه رحمه الله تعالى قوله
ولهما عنها اي عن عائشة قالت لما نزل برسول الله صلى
الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها
كشفها فقال وهو كذلك الحديث وقال في اخره اخرجاه
قوله ولهما اي البخاري ومسلم وهو يغني عن قوله في اخره
اخرجاه قوله لما نزل هو بضم النون وكسر الزاي اي
نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام قوله طفق
بكسر الفاء وفتحها والكسر افصح وبه جاء القران ومعناه
جعل قوله خميصة بفتح المعجمة والصاد المهملة كساء له اعلام
قوله فاذا اغتم بها كشفها اي عن وجهه قوله لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يبين ان من
فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى
قوله يحذر ما صنعوا الظاهر ان هذا من كلام عائشة
رضي الله عنها لانها فهمت من قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
تحذيرا منه هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى
في قبور انبيائهم فانه من الغلو في الانبياء ومن اعظم الوسائل
الى الشرك ومن غربة الاسلام ان هذا الذي لعن صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فاعليه تحذيرا لامته ان يفعلوا معه صلى الله عليه وسلم ومع
الصالحين من امته قد فعله الخلق الكثير من متاخري هذه
الامة واعتقدوه قربة من القربات وهو من اعظم السيئات
والمنكرات وما شعروا ان ذلك محادة لله ورسوله قال
القرطبي في معنى هذا الحديث وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية
الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام انتهى
اذ لا فرق بين عبادة القبور ومن فيه وعبادة الصنم وتامل قول
الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال واتبعت ملة اباءي
ابرهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
نكرة في سياق النفي تعم كل شرك قوله ولولا ذلك اي ما كان يحذر
من اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسجدا لابرز قبره مع قبور
الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع قوله غير انه خشي ان
يتخذ مسجدا روي بفتح الخاء وضمها فعلى الفتح يكون هو الذي
خشي ذلك صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يدفنوه في المكان الذي
قبض فيه وعلى رواية الضم يحتمل ان يكون الصحابة هم
الذين خافوا ان يقع ذلك من بعض الامة فلم يبرزوا قبره
خشية ان يقع ذلك من بعض الامة غلوا وتعظيما بما ابدا
واعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله قال القرطبي و
لهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فاعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل اليها وجعلوها
محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم ثم خافوا ان يتخذ موضع قبره قبلة

اذ كان مستقبل المصلين فتتصور الصلاة اليه بصورة العبادة
فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى
التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن احد
من استقبال قبره انتهى قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه من المسائل
ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه
على قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل ومنها النهي عن
التماثيل بتغليظ الامر ومنها نهيه عن فعله عند قبره قبل ان
يوجد القبر ومنها انه من سنن اليهود والنصارى في قبور
انبيائهم ومنها لعنه اياهم على ذلك ومنها ان مراده بذلك
تحذيره ايانا عن قبره ومنها انها هي العلة في عدم ابراز قبره انتهى
قوله ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول اني ابرأ الى الله ان بلغ
يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور
انبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني
انهاكم عن ذلك قوله عن جندب بن عبد الله اي ابن سفيان
البجلي وينسب الى جده صحابي مشهور مات بعد الستين
قوله اني ابرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل اي امتنع عما
لا يجوز لي ان افعله والخلة فوق المحبة والخليل هو المحبوب
غاية الحب مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي تخلل المودة في
القلب

القلب كما قال الشاعر قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا هذا هو الصحيح في معنى الخلة كما
ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وابن كثير وغيرهم رحمهم الله تعالى
قال القرطبي وانما كان ذلك لان قلبه صلى الله عليه وسلم قد امتلا
من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره قوله فان الله قد
اتخذني خليلا فيه بيان ان الخلة فوق المحبة قال ابن القيم
رحمه الله تعالى واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل
من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهلهم
فان المحبة عامة والخلة خاصة وهي نهاية المحبة وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اتخذه خليلا ونفى ان يكون
له خليل غيره مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن
الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وغيرهم وايضا
فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين
وخلته خاصة للخليلين قوله ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا فيه بيان ان الصديق افضل الصحابة و
فيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما شر اهل البدع واخرجهم
بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة وبسبب الرافضة
حدث الشرك وعبادة القبور وهم اول من بنى عليها المساجد
قاله المصنف وهو كما قال بلا ريب وفيه اشارة الى خلافة ابي
بكر لان من كانت محبته لشخص اشد كان اولى به من غيره
وقد تخلف عن الصلاة بالناس وغضب صلى الله عليه وسلم
لما قيل يصلي بهم عمر وذلك في مرضه الذي توفي فيه صلوات الله

وسلامه عليه واسم ابي بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الصديق الاكبر خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة باجماع من يعتد بقوله من
اهل العلم مات في جمادى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون — الاولى
سنة رضي الله عنه قوله الا حرف استفتاح الا وان من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد الحديث قال
الخلخالي وانكار النبي صلى الله عليه وسلم صنيعهم هذا يخرج
على وجهين احدهما انهم كانوا يسجدون لقبور الانبياء
تعظيما لهم والثاني انهم يجوزون الصلوة في مدافن الانبياء
والتوجه اليها حالة الصلوة نظرا منهم بذلك الى عبادة الله
والمبالغة في تعظيم الانبياء والاول هو الشرك الجلي والثاني
الخفي فلذلك استحقوا اللعن قوله فقد نهى عنه في اخر حياته اي
كما في حديث جندب هذا من كلام شيخ الاسلام وكذا ما
بعده ثم انه لعن وهو في السياق من فعله كما في حديث عائشة — انه لعن من
قلت فكيف يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين
ان تعظم القبور ويبنى عليها ويصلى عندها واليها هذا
اعظم مشاقة ومحادة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم لو
كانوا يعقلون قوله والصلوة عندها من ذلك وان لم يبن
مسجد اي من اتخاذها مساجد الملعون فاعله وهذا
يقتضي تحريم الصلوة عند القبور واليها وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه مرفوعا الارض كلها مسجد الا المقبرة

والحمام

والحمام رواه احمد واهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم قال
ابن القيم رحمه الله تعالى وبالجملة فمن له معرفة بالشرك واسبابه و
ذرائعه وفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاصده جزم جزما
لا يحتمل النقيض ان هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه لا — صيغته
تفعلوا وصيغة اني انهاكم عن ذلك ليس لاجل النجاسة بل هي
لاجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه وارتكب ما عنه نهاه
واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه وقل نصيبه او عدم من قول لا
اله الا الله فان هذا وامثاله من النبي صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد
ان يلحقه الشرك ويغشاه وتجريد له وغضب لربه
ان يعدل به سواه فابى المشركون الا معصية لامره وارتكابا
لنهيه وغرهم الشيطان بان هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين
وكلما كنتم لها اشد تعظيما واشد فيهم غلوا كنتم بقربهم اسعد
ومن اعدائهم ابعد ولعمر الله من هذا الباب دخل على عباد يغوث
ويعوق ونسر ودخل على عباد الاصنام منذ كانوا الى يوم القيمة
فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم فهدى الله اهل
التوحيد لسلوك طريقتهم وانزالهم منازلهم التي انزلهم الله
اياها من العبودية وسلب خصائص الالهية عنهم قال الشارح
رحمه الله وممن علل بخوف الفتنة بالشرك الامام الشافعي و
ابو بكر الاثرم وابو محمد المقدسي وشيخ الاسلام وغيرهم و
هو الحق الذي لا ريب فيه قوله فان الصحابة لم يكونوا

ليبنوا عليه قبره مسجدا اي لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه ولعن من فعله قوله وكل موضع قصدت الصلوة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا المعنى وان لم يقصده بذلك كما اذا عرض لمن اراد ان يصلي فاوقع الصلوة في ذلك الموضع الذي حانت فيه الصلوة عنده من غير ان يقصد ذلك الموضع بخصوصه فصار بفعل الصلوة فيه مسجدا قوله كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي فسمى الارض مسجدا يجوز الصلوة في كل بقعة منها الا ما استثني من المواضع التي لا يجوز الصلوة فيها كالمقبرة ونحوها قال البغوي في شرح السنة اراد ان اهل الكتاب لم تبح لهم الصلوة الا في بيعهم وكنائسهم فاباح الله لهذه الامة الصلوة حيث كانوا تخفيفا عليهم وتيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس انتهى قوله ولاحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد رواه ابو حاتم ابن حبان في صحيحه قوله ان من شرار الناس بكسر الشين جمع شرير قوله من تدركهم الساعة وهم احياء مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع قوله والذين يتخذون القبور مساجد معطوف على خبر ان في محل نصب على نية تكرار العامل اي وان من شرار الناس الذين

اي وان لم يبني مسجدا

بهم [illegible] وقلبها وهو
اخلاص العمل له وتجريد [illegible]
[illegible] يستحق سبحانه المراتب
[illegible] من الاعلى الا الادنى فنفى الملك والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفى بهذه الاية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقران مملوء من امثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القران ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم او دونهم وتناول القران لهم كتناوله لاولئك

قال ومن انواعه اي الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به وسأله ان

الموحد …
بر غاية التنقص اذ ظنوا …
امورهم بل وانهم يوالون عليه وهو …
الرسل في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم وما
نجى من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده
عادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده
وليه والهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه وذله
لله واستعانته بالله والتجاءه الى الله واستغاثته بالله وقصده
لله متبعا لامره متطلبا لمرضاته اذا سال سال الله واذا
استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو بالله ولله ومع
الله انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهذا الذي ذكره هذا الامام
هو حقيقة دين الاسلام كما قال تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم
خليلا قوله قال ابو العباس هو كنية شيخ الاسلام احمد بن عبد
الحليم بن

وتوكله على الله

بلغ

… وقال ابو هريرة
… قال من قال لا اله
… فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص
… الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقته ان الله سبحانه
وتعالى هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة
دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة
التي نفاها القران ما كان فيها شرك وهذا اثبت الشفاعة
باذنه في مواضع وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم انها
لا تنفع الا لاهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه قوله ولابي
هريرة الخ هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن ابي
هريرة ورواه احمد وصححه ابن حبان وفيه شفاعتي لمن قال لا
اله الا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه وشاهده في صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وقد ساق

لا تكون

الموحدين [illegible]
بر غاية التنقص اذ هو [illegible]
امورهم به وانهم يوالون عليه و [illegible]
الرسل في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم وما
نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيد [الله]
وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله [وحده]
وليه والهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاه لله وذله
لله وتوكله على الله واستعانته بالله والتجاءه الى الله واستغاثته بالله وقصده
لله متبعا لامره متطلبا لمرضاته اذا سال سال الله واذا
استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو بالله ولله ومع
الله انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهذا الذي ذكره هذا الامام
هو حقيقة دين الاسلام كما قال تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم
خليلا قوله قال ابو العباس هو كنية شيخ الاسلام احمد بن عبد
الحليم بن

وقد تكلم على المدح

بلغ

112

[illegible] وقال ابو هريرة
[illegible] قال من قال لا اله
[illegible] فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص
[illegible] الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقته ان الله سبحانه
وتعالى هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة
دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة
التي نفاها القران ما كان فيها شرك ولهذا اثبت الشفاعة
باذنه في مواضع وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم انها
لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه قوله وعن ابي
هريرة الخ هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن ابي
هريرة ورواه احمد وصححه ابن حبان وفيه وشفاعتي لمن قال لا
اله الا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه وشاهده في صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وقد ساق

لا تكون

الشفاعة ...
النبي صلى الله عليه وسلم ...
تجريد التوحيد فحينئذ يأذن الله للشافع
المشرك اعتقاده ان من اتخذه وليا او شفيعا انه يشفع له
عند الله او ينفعه كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم
من والاهم ولم يعلموا انه لا يشفع عنده الا باذنه ولا ياذن في
الشفاعة الا لمن يرضى قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الاول
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وفي الفصل الثاني ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وبقي فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل
الا توحيده واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه ثلاث فصول
تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها انتهى وذكر الشيخ
رحمه الله تعالى ان الشفاعة ستة انواع الاول الشفاعة الكبرى التي
يتأخر عنها اولو العزم عليهم الصلوة والسلام حتى تنتهي اليه فيقول
انا لها وذلك حين يرغب الخلائق الى الانبياء ليشفعوا لهم الى
ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه شفاعة يختص بها

لا يشركه فيها

115

... الكفار
... ابي طالب وعمه
... لا تهدي من احببت الآية
... هذه الاية في موت ابي طالب على ملة عبد المطلب كما يأتي
بيان ذلك في حديث الباب قال ابن كثير رحمه الله تعالى يقول تعالى
لرسوله انك يا محمد لا تهدي من احببت اي ليس اليك ذلك انما
عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين قلت والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول
فان امر ذلك الى الله وهو القادر عليه واما الهداية المذكورة في قوله تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم فانها هداية الدلالة والبيان
فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه قوله في الصحيح عن ابن المسيب عن
ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده عبد الله بن ابي امية وابو جهل فقال له يا عم قل لا اله الا الله

الصحيحين

ابن عمرو بن عائذ ...

العلماء والفقهاء الكبار السبعة ...

ان مراسيله اصح المراسيل وقال بن المديني لا اعلم ...

اوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين

وابوه المسيب صحابي بقي الى خلافة عثمان رضي الله عنه

وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة قوله لما حضرت

ابا طالب الوفاة اي علامتها ومقدماتها قوله جاءه رسول الله

صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون المسيب حضر مع الاثنين فانهما

من بني مخزوم وهو ايضا مخزومي وكان الثلاثة اذ ذاك كفارا

فقتل ابو جهل على كفره واسلم الاخران قوله يا عم منادى

مضاف يجوز فيه اثبات الياء وحذفها حذفت الياء هنا وبقيت

الكسرة دليلا عليها قوله قل لا اله الا الله امره ان يقولها لعلم ابي طالب بما

دلت عليه من نفي الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده فان من قالها

بعلم ويقين فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الاسلام

لانه

116

النظر بن مريم ويأتي فكل من دعى نبيا او وليا من دون الله فقد اتخذه الها

وضاهى النصارى في شركهم وضاهى اليهود في تفريطهم قال ... النصارى غلوا

في عيسى عليه السلام واليهود عادوه وسبوه وتنقصوه فالنصارى افرطوا

واليهود فرطوا وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله

الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام ففي هذه الاية وامثالها الرد

على النصارى وعلى اليهود قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ومن تشبه من هذه

الامة باليهود والنصارى وغلى في الدين بافراط فيه او تفريط

فقد شابههم قال وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فامر

باخاديد خدت لهم عند باب كندة وقذفهم فيها ...

منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا
سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول
من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم ر
جبريل على الملائكة كلما مر بسماء ساله ملائكتها ماذا قال ر
جبريل فيقول جبريل الحديث عن هذا الحديث روا
حاتم بسنده كما ذكره العماد بن كثير في تفسير
سمعان بكر الحسين بن خالد الكلبي بقال الا
ويقال ابان صحابي ايضا قوله اذا اراد
الخ فيه النص على ان الله تعالى يتكلم بالو
اهل السنة على النفاة لقولهم لم يزل الله
السموات منه رجفة السموات يفعد
اي اصاب السموات منه كلامه صعق
فانه تسمع كلامه تعالى كما رو

ح
الكلابي

النهي والظاهر ان هذه الاية نزلت في ابي طالب فان الاتيان بالفاء
المفيدة للترتيب في قوله فانزل الله بعد قوله لاستغفرن لك ما لم انه
عنك يفيد ذلك وقد ذكر العلماء لنزول هذه الاية اسبابا اخر فله فافهم
لان اسباب النزول قد تتعدد ح ل الحافظ اما نزول الاية الثانية فواضح
في قصة ابي طالب واما نزول الاية التي قبلها ففيه نظر ويظهر ان المراد
ان الاية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد ابي طالب بمدة وهي عامة
في حقه وهو عموم يوضح ذلك ما ياتي في التفسير فانزل الله بعد ذلك ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ونزل في ابي طالب
انك لا تهدي من احببت كله ظاهر في انه مات على غير الاسلام ويضعف ما ذكره
[illegible]

قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمى بها
لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح
[...] العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى
[...] التسبيح هذه السماء الدنيا ثم يستخبر اهل السماء الذين يلون
المغلم فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال
عنك نهيهم ويخبر اهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء
لان اسباب [...] فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون
في قصة ابي [...] عبد [...] لابي وقال عبد الرزاق فيخطف الجن
ان الاية المتعلقة [...] لهم يزيدون فيه ويقرفون وينقصون
في حقه وهو [...] كذبة اي الكاهن او الساحر والكذبة
للنبي والذين آمنوا [...] المعجمة وقال [...] البس وقد قال لنا يوم
[...] لا ندري من اصيبت كل نسخة بخط المص رحمه الله كالذي في صحيح
[...] قبول النفوس للباطل يتعلقون
[...] وفيه ان الشيء اذا كان فيه
[...] فيكذب [...]

[...]
التسهيلي انه روى في بعض كتب المسعودي انه آمن [...]
ما في الصحيح انتهى وفيه تحريم الاستغفار للمشركين [...]
لانه اذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم [...]

باب ما جاء ان سبب كـ[...]
دينهم هو الغلو في الصالحين

قوله [...]
واراد المص رحمه الله بيان ما يؤول اليه الغلو [...]
في الصالحين الذي هو اعظم ذنب عصي الله [...]
دلت عليه كلمة الاخلاص شهادة ان لا اله [...]
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الاية الغلو [...]
الاعتقاد اي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته [...]
التي لا تنبغي الا لله والخطاب وان كان لاهل [...]
الامة تحذيرا لهم ان يفعلوا فعل النصارى [...]
كما قال تعالى الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر [...]
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد الاية ولـ[...]

... عن الصحابة

عباس مذهبه ان يقتلوا بالسيف من غير تحريق

... قوله في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما

... الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا

... فاهذه اسماء رجال صالحين من قوم

... يطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم

... با وسموها باسمائهم ففعلوا ولم تعبد

... العلم عبدت قوله في الصحيح اي صحيح البخاري

... حمه الله تعالى ولفظ ما في البخاري عن ابن

... قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت

... واع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت

... عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان

... لذي الكلاع اسماء رجال صالحين في

... عكرمة والضحاك وابن اسحق نحو هذا وقال

... قال احمد ثنا مهران عن سفيان

عن هوى

بهرت ...

اخلاص العمل له و بحريه ...

اسم المكان وجملة هو وما بعدها الخبر قوله ...

ان ابا طالب قال انا فغيره الراوي استقبحا للفظ المذكور

التصرفات الحسنة قاله الحافظ قوله وابى ان يقول لا اله الا الله

قال الحافظ هذا تاكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من ابي طالب

قال المصنف رحمه الله وفيه الرد على من زعم اسلام عبد المطلب واسلافه وفيه مضرة

اصحاب السوء على الانسان ومضرة تعظيم الاسلاف والاكابر اي

اذا زاد على المشروع بحيث تجعل اقوالهم حجة يرجع اليها عند التنازع

قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك قال النووي

وفيه جواز الحلف من غير استحلاف وكان الحلف هنا لتاكيد العزم على الاستغفار

تطييبا لنفس ابي طالب وكانت وفاة ابي طالب بمكة قبل الهجرة

بقليل قال ابن فارس مات ابو طالب ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع و

اربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما وتوفيت خديجة ام المؤمنين

رضي الله عنها بعد موت ابي طالب بثمانية ايام قوله ما كان للنبي و

الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية اي ما ينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى

الزهري

... قوله احاج لك
... بها جه والمراد بيان الحجة بها وفيه
... بالخواتيم لانه لو قالها في تلك الحال معتقدا مادلت
عليه مطابقة من النفي والاثبات لنفعته قوله نقالا لا اترغب عن
ملة عبد المطلب ذكراها الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على
المرسلين كقول فرعون لموسى ما بال القرون الاولى وقوله تعالى وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على آثارهم مقتدون قوله فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فاعادا فيه معرفتهما معنى لا اله الا الله لانهما عرفا ان ابا طالب لو قالها
لتبرأ من ملة عبد المطلب فان ملة عبد المطلب هي الشرك بالله في الالهية
واما الربوبية فقد اقروا بها لله كما تقدم وقد قال عبد المطلب لابرهة انا
رب الابل والبيت له رب يمنعه منك وهذه المقالة منهما عند قول النبي
صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله استكبارا عن العمل بمدلولها كما قال الله تعالى عنهم
ويعني امثالهما من ادلة المشركين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون فرد عليهم بقوله بل جاء

الملعونة